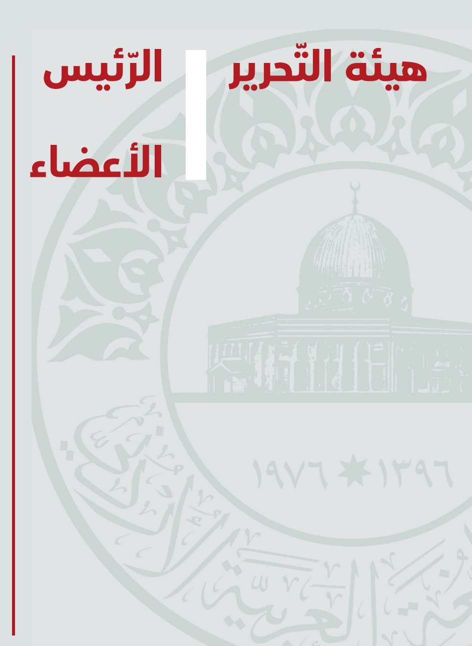


مجلّة ثقافيّة تصدر عن مَجْمَع اللّغة العربيّة الأردنيّ

العدد الثالث ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



شروط النّشر

١- أنْ لا تزيد المشارَكة على عشر صفحات، بواقع (٢٥٠٠) كلمة، وأن تكون مصفوفةً إلكترونيّاً.
٢- أنْ يُكْتَبَ عنوانُ المشاركة، ونبذة عن السّيرة الذّاتيّة للكاتب.
٣- أنْ لا تكون المشاركة منشورة أو مقدَّمة للنّشر إلى جهة أخرى.
٤- أنْ تُكْتَبَ الهوامشُ في آخر المشارَكة إذا تطلّب الأمرُ ذلك.

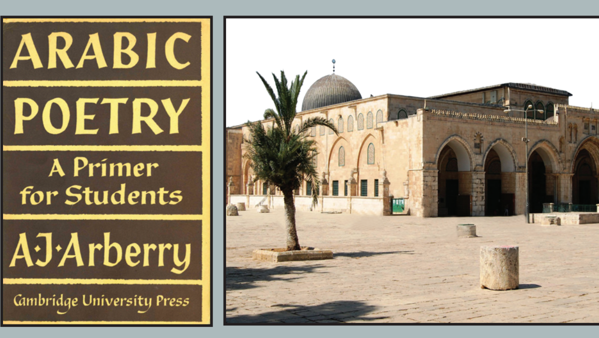
● تُرْسَلُ المشاركاتُ إلى المجلّة على عنوان البريد الإلكترونيّ الآتي: (albayan@ju.edu.jo).

أحكام عامّة

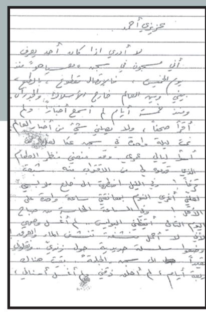
١- تعتذر هيئة التّحرير عن عدم إعادة المشاركات غير المقبولة للنّشر إلى أصحابها.
٢- المشاركات المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تُعبّر عن هيئة التّحرير أو المَجْمَع.
٣- يخضع ترتيب المشاركات عند النّشر في المجلّة لمعايير فنّيّة تراها هيئة التّحرير.
٤- تُصبح المشاركة بعد قبولها للنّشر حقّاً للمجلّة، ولا يجوز النّقلُ عنها إلّا بالإشارة إلى المجلّة.
٥- يدفعُ المَجْمَع مكافأة رمزيّةً مقابلَ كلّ مشاركة تُنشر في المجلّة.



مجلة ثقافية تصدر عن
مجمع اللغة العربية الأردني
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٥٢٥٢ / ١٠ / ٢٠١٩)









المحتويات

اللّغة العربيّة لغة علميّة ٤٩

من التّراث ٥٩

الترجمة ٦٧

قراءة في كتاب ٨٩

أدب وشعر ١٠٥

الافتتاحيّة

عيد الدحيات

رئيس هيئة التّحرير



قضايا للتأمل واستخلاص العبر والدروس

عيد الدحيات*

في حياة الشعوب محطاتٌ تتوقف عندها للتأمل واستخلاص الدروس والعبر، حيث تجد نفسها عند الحد الفاصل بين الماضي والمستقبل وعليها أن تقرر في أي اتجاه تسير وأي بوصلة تضبط إيقاع خطواتها نحو الآتي.

ومن هذه المحطات الظروفُ التي تمر بها الأمة العربية في الوقت الحاضر وتتطلب منها جميعًا الوقوف عندها طويلاً للمراجعة والتقييم وإعادة الحساب ونقد الذات، وذلك على ضوء متطلبات الزمن الذي فيه نعيش، وهو بلا شك زمنٌ صعبٌ وقاسٍ لا يرحم الضعفاء والمتواكلين؛ زمنُ الغلبةُ فيه للأقوياء الذين استطاعوا بناء دول عصرية حديثة.

وتفرض علينا التحولات العميقة التي تمر بها أوطاننا أن نكون بحجم التحديات، وأن ندرك أن الحياة ليست مجرد مراحل ترفيهية لمجموعة من الكسالى، بل مراحل تضعنا وجهًا لوجه أمام حقائق لا يمكن تجاهلها. وليس أمامنا خيار سوى أن نكون أصحاب عطاء وأن نتفاعل مع الدنيا ومع أنفسنا حسب لغة العقل ولغة الإنجاز المرتكز على الانضباط والتميز الحضاري.

إن بناء الأوطان والدفاع عنها شعور فطري نابع من حب البقاء والدفاع عن الحياة ذاتها، وعن الحق بأن يكون لأمتنا مشروعها الحضاري والإنساني الذي تقدمه للعالم؛ مشروعٌ ينقلها إلى المستقبل بثقة واقتدار ويمكنها من اللحاق بركب البشرية المتحضرة.

* رئيس هيئة التحرير

وتـؤدي الطبقة المثقفة عـادةً دورًا أساسيًّا في نهوض الأمـم وتقدمها، ويقع على كاهلها مسؤولية الـريـادة في طرح الحلول وتحليل الواقع تحليلاً علميًّا وموضوعيًّا يؤدي إلى حل المشكلات ورسم خارطة طريق نحو المستقبل، مستفيدة من تجارب الماضي ودروسه وإخفاقاته وأخطائه وعثراته. وبناءً على ما مرت به هذه الأمة خلال القرن العشرين، والجزء الثاني منه خاصّةً، وما تمر به حاليًّا، لا بد لهذه الطبقة أن تعي وتأخذ بعين الاعتبار والتحليل الحقائق التالية وتستخلص منها العبر:

١- من حق كل دولة عربية أن تبدأ بتطوير وتنمية نفسها أولاً معتمدة على ذاتها ومواردها وقدرات قواها البشرية.

إن من أكثر الأخطاء التي ارتكبت في التاريخ العربي الحديث إهمال مرحلة الدول الوطنية المعتمدة على ذاتها، حيث تم القفز عليها إلى دولة الوحدة الاندماجية الكاملة، واعتُبرت الدعوات الرامية إلى تعزيز بنيان كل دولة عربية أولاً ضربًا من التخاذل.

تفرض علينا التحولات العميقة التي تمر بها أوطاننا أن نكون بحجم التحديات، وأن ندرك أن الحياة ليست مجرد مراحل ترفيهية لمجموعة من الكسالى، بل مراحل تضعنا وجهًا لوجه أمام حقائق لا يمكن تجاهلها

إن اختزال مرحلة الدولة الوطنية في التفكير القومي العربي خلال القرن الماضي كان خطأً استراتيجيًّا. وكانت النتيجة أن الوحدة العربية الشاملة لم تقم، كما أن الأقطار العربية بقيت مهلهلة وضعيفة. وقد رَبط الفكرُ والوجدان العربي -خطأً- الوحدةَ العربية بمفهوم التوحيد والمطابقة وإزالة الفوارق وإذابة الاختلافات، وجعل منها أداة قولبة وتدجين وصل بعضَ الأحيان إلى درجة العنف والإرهاب، وقد أدى هذا إلى ظهور الحزب الواحد والفكر الواحد والزعيم الملهم الواحد. وهكذا أصبحت منهجية الوحدة منهجيةً أحادية أدت إلى خلق أوهام عند أصحابها الذين اعتقدوا أن ما يفعلونه هو الحقيقة المطلقة، وأمّا غيره فهو الباطل المطلق.

ولم ينجح من تجارب الوحدة إلا التجربة الأردنية التي قامت بين الضفتين الشرقية والغربية في أعقاب حرب سنة ١٩٤٨م، وكان السبب في نجاحها أنها لم تفرض بالقوة على الناس بل بناءً على رغبتهم وطلبهم، وساعدت أجواء الحرية والانفتاح وسعة الأفق والحنكة السياسية التي أرسى قواعدها الملك المؤسس عبد الله الأول ابن الحسين طيب الله ثراه، وعززها الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه والملك عبدالله الثاني



ابن الحسين حفظه الله ورعاه، على نجاح تجربة الوحدة وتعميقها وديمومتها، حتى وضع الاحتلال نهاية قسرية لها.

لقد أدى فشل الدول العربية الأخرى في مسعاها نحو الوحدة إلى ضياع سنوات ثمينة من عمر هذه الأمة دون طائل، وأوصلها إلى درجة الإنهاك، كما جعل منها -أي الوحدة- شعارًا عاطفيًّا استهلاكيًّا أبعدها عن المضمون الاجتماعي المرتبط بمصالح الفئات والمجموعات المتواجدة على مساحات الوطن العربي كله.

ولا بد من الإقرار أن هنالك فروقًا تشكلت عبر عصور وقرون طويلة، لا يمكن القضاء عليها أو تجاهلها بقرار سياسي أو تنظير بعيد عن الواقع، كما أنه من غير المنطقي أن تُحرم الأمة من ذرة جهد أو قيراط اجتهاد وإخلاص من كل واحد من أبنائها. ومن المناسب هنا القول إن المجتمعات الغربية قد شهدت مع بدايات عصر النهضة الأوروبية تغيرًا في الفكر السياسي أدى إلى الاعتراف بالفرد فردًا وذاتًا واعية، وهو ما أدى إلى استكمال البناء الديمقراطي وإرساء مجتمعات ليبرالية يتمتع فيها الأفراد كلهم بخصوصيتهم ضمن المظلة الواسعة للدولة التي تستوعب كل الأطياف السياسية والاجتماعية والدينية والعرقية.



تؤدي الطبقة المثقفة عادةً دورًا أساسيًّا في نهوض الأمم وتقدمها، ويقع على كاهلها مسؤولية الريادة في طرح الحلول وتحليل الواقع تحليلاً علميًّا وموضوعيًّا يؤدي إلى حل المشكلات ورسم خارطة طريق نحو المستقبل، مستفيدة من تجارب الماضي ودروسه وإخفاقاته وأخطائه وعثراته.



٢- إن شخصية الأمة العربية وجودٌ تاريخي واجتماعي لا وجودٌ في الفراغ، وقد كان من أهم ميزات هذه الشخصية الانفتاح على العالم الخارجي، حيث استطاع العرب التفاعل مع حضارات الأمم الأخرى كاليونانية والرومانية والفارسية، وترجموا تراثها وأضافوا عليه، ولم يرفضوا الوجود الحضاري والثقافي للآخرين، بل احترموه وأفادوا منه. وقد أوجد هذا الواقع التاريخي خصائص مشتركة لدى الجميع -عربًا وغير عرب- في كل مجالات الحياة اليومية وفي مجال استعمال اللغة العربية والتأليف فيها وتبجيلها.

وقد أبقى الدين الحنيف على بعض العادات والطقوس الدينية التي كانت سائدة قبل الإسلام واعتبر أن «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام». والقرآن الكريم يمثل نهج الله في الأرض الذي حمله العرب إلى

الناس كافة، وبه أقاموا دولتهم وحضارتهم، وقد أخرج الإسلام العرب من دائرة التعصب والقبلية وسما بهم إلى مفهوم التآخي والأخوة.

كما أن المجتمع العربي الذي دان بالإسلام مجتمع متكامل، لا عصبية فيه ولا نعرة، يعيش فيه الناس على شتى اختلافاتهم وفروقهم مواطنين متساوين لأنهم رعايا دولة لا تفرق بين مسلم وغير مسلم، عاش فيها صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي مع أبناء قريش لا فرق بينهم إلا بالتقوى. والإسلام دين الحياة كلها يرعى كل فرد يعيش في كنفه، وليس من شأن الإسلام أن يُكرِه فردًا على اعتناقه، كما أنه ليس ضيقًا محدودًا لا يستوعب كلَّ من يختار العيش في دياره.

٣- لقد دعا القرآن الكريم المشركين للإيمان بالله، ولكنه في الوقت نفسه ترك عقوبةَ مَن لم يؤمن بذلك إلى الله وحده، كما دعا الرسولَ عليه الصلاة والسلام إلى مجادلة الكفار بالتي هي أحسن: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). وقد بين القرآن الكريم أنْ ليس من حق أحد أن يُكره أحدًا على الإيمان، كما أن الحسم في القضايا يعود إلى الله لا البشر.



إن من أكثر الأخطاء التي ارتكبت في التاريخ العربي الحديث إهمال مرحلة الدول الوطنية المعتمدة على ذاتها، حيث تم القفز عليها إلى دولة الوحدة الاندماجية الكاملة، واعتُبرت الدعوات الرامية إلى تعزيز بنيان كل دولة عربية أولاً ضربًا من التخاذل



وذهب الإسلام إلى أكثر من ذلك إذ طلب من الرسول عليه الصّلاة والسلام ومن جميع المسلمين ألّا ينسوا أحدًا من الدعاء في صلاتهم حتى الذين ضلوا عن سبيل الله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧-١١٨). فوجودُ الاختلاف بين البشر هو تجسيد لقضاء الله عز وجل وقدره، والله تعالى يريد أن يمتحن المؤمنين بهذا الاختلاف، كما أنّ فيه انعكاسًا للطبيعة البشرية في التنوع: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).

إن فهم الإسلام العميق والمتسامح للبشر هو إقرار ضمني أن الحياة المشتركة مع غير المسلمين لا تعني أبدًا إكراههم على ما لا يريدون، ولا يفرض عليهم باسم الدين طرائق حياتهم ولباسهم





إن شخصية الأمة العربية وجودٌ تاريخي واجتماعي لا وجودٌ في الفراغ، وقد كان من أهم ميزات هذه الشخصية الانفتاح على العالم الخارجي، حيث استطاع العرب التفاعل مع حضارات الأمم الأخرى كاليونانية والرومانية والفارسية، وترجموا تراثها وأضافوا عليه، ولم يرفضوا الوجود الحضاري والثقافي للآخرين، بل احترموه وأفادوا منه



ومأكلهم ومشربهم. إن الله تعالى واحد لجميع الناس، يجمع ولا يفرق، وهو سبحانه رب العالمين لا المسلمين حسبُ. هكذا فهم المسلمون الأوائل الإسلام، فأبدعوا وأبدع غيرهم من أتباع الأديان والأجناس الأخرى.

٤- إن من جوهر الإسلام إقامة الدولة الصالحة العادلة، والإسلامُ لا يدعو أبدًا لإقامة دولة من رجال الدين، بل لإقامة حكومة مدنية، لأن رضا الناس -المتمثل بالبيعة- هو مصدر شرعية السلطة السياسية. وقد بين الكثير من الفقهاء أن الإمامة عقدٌ والبيعة صيغة تنظيمية له. وهذا بلا شك يتوافق مع مبدأ العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم الذي يعتبر الأساس الذي قامت عليه الديمقراطيات الغربية في العصور الحديثة.

وقد عُدَّ الإجماع، أو رأي الأكثرية، أحدَ مصادر التشريع. نعم إن الكتاب والسنة لا يلحقهما التغيير والتبديل فهما يعبران عن حقائق مطلقة وثابتة مهما اختلفت الأماكن والأزمنة، ولكنّ هنالك مصادر تكميلية أخرى تزداد الحاجة إليها مع تباعد الزمان وتغير الظروف. وهذه المصادر تقع كلها تحت كلمة «اجتهاد»، ومتى اجتهدَ المجتهدُ أعملَ عقلَه وفكره؛ يحلل ويقارن ويستنتج، وقد يجد المصلحة أحيانًا في حلول سبق إليها غير المسلمين. ومن غير المعقول أن نرفض أمرًا صحيحًا ومفيدًا لأن غير المسلمين قد أخذوا به.

٥- من الحكمة الاعترافُ أن بعض مكونات التراث السياسي عندنا -نحن العرب والمسلمين- مكونات منفصلة عن الإسلام، مصدرُها هو الفكر السياسي الغربي والتجربة السياسية الأوروبية. فعلى سبيل المثال: إن مصطلحات الديمقراطية والفصل بين السلطات وحق الاقتراع العام وحرية الصحافة؛ كلها جزء من التراث الفكري لأوروبا والولايات المتحدة، وقد استقرت هذه المبادئ في الوجدان السياسي العربي الإسلامي وتداخلت معه بحيث يصعب أحيانًا كثيرة الفصل بينهما. وعلينا أن ندرك أن الإسلام ليس كيانًا مقطوع الصلة بتجارب الأقوام والأمم الأخرى، كما أن حياة المسلمين لا تختلف في نواحيها المعيشية وهمومها اليومية عن حياة غير المسلمين.

ويلتقي الإسلام مع أنظمة كثيرة غير إسلامية في الأخذ بمبادئ العدل وتكافؤ الفرص ومسؤولية الحكام

نحو الناس والتكافل الاجتماعي وحقوق الأفراد. وقد بين الإسلام وحدة المسار الإنساني باختلاف الأزمنة والأمكنة انطلاقًا من وحدة الطبيعة البشرية، ونصوصُ القرآن والسنة واضحة في إلحاحها على وحدة النوع البشري رغم اختلاف الأفكار والقبائل واللغات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقد اعترف الإسلام باليهودية والنصرانية واعتبر موكب الرسل والأنبياء موكبًا واحدًا متصلاً، كما رفض الإسلام فكرة الشعب المختار المميز، وأخضع الناس جميعًا لمبدأ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). كما أن الإسلام واضح كل الوضوح؛ فالحكمة ضالة المسلم وهي مبثوثة في أرجاء هذا الكون كله تجدها عند المسلم وعند غير المسلم، وعلى المسلمين أن يطلبوها ولو في الصين.



إن من جوهر الإسلام إقامة الدولة الصالحة العادلة، والإسلامُ لا يدعو أبدًا لإقامة دولة من رجال الدين، بل لإقامة حكومة مدنية، لأن رضا الناس -المتمثل بالبيعة- هو مصدر شرعية السلطة السياسية. وقد بين الكثير من الفقهاء أن الإمامة عقدٌ والبيعة صيغة تنظيمية له. وهذا بلا شك يتوافق مع مبدأ العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم الذي يعتبر الأساس الذي قامت عليه الديمقراطيات الغربية في العصور الحديثة



٦- إن توجه بعض الناس إلى التراث دون تحليلٍ وفهم عميق لوظائفه التاريخية وعناصر الإبداع فيه التي مارسها صنّاعه، يشبه إلى حد كبير ميل بعض الدول المتخلفة عن ركب الحضارة والتقدم إلى استيراد منتجات العلوم والتكنولوجيا جاهزةً من الدول الصناعية المتقدمة التي قامت بتصنيعها بدون أية محاولة لاكتشاف قوانين العلوم الداخلية والمراحل المعرفية التي أوصلت إلى إنتاجها. فلا بد والحال هذه من توطين العلوم وفتح باب الاجتهاد والتحليل وإعمال العقل على مصراعيه.

وهذا في واقع الأمر رجوعٌ إلى منهجية علمية استعملها المسلمون الأوائل وأدت إلى أن تقود هذه الأمةُ في مرحلة ما العالمَ كله في ميادين البحث العلمي والعطاء والإنجاز الحضاري الرفيع. ولكنْ عندما دخل المجتمع الإسلامي في مرحلة التخلف والتقهقر راح يقدس تفاسير العصور السابقة بدلاً من أن يستلهم رؤيتها وروحها ومنهجيتها في التفكير والبحث.

إن القرآن الكريم والسنة المطهرة يشكلان -دون أدنى شك- مرجعية علمية لتوضيح المحرمات والحقوق والواجبات، ولكنهما لا يعفيان المسلم ولا المجتمع الإسلامي من الاستمرار في الاجتهاد. ومما لا ريب فيه أن العمل الأكثر فائدة هو الذي يقوم به المسلم مدفوعًا بعاطفة الخير والبر ومحبة الله تعالى ومحبة الناس أجمعين، مستذكرًا دومًا أن الدين يسّر وسلوك وعطاء ورحمة، وهذا يجعله يتجاوز التقيد الحرفي بالنصوص ويرقى إلى الروح الكامنة وراء الكلمات. إن الحياة البشرية ليست مواجهة مع الآخر بل مشاركة معه لخدمة الإنسانية والارتقاء بحضارتها.

٧- تؤدي الأحزاب دورًا كبيرًا في حياة الشعوب والدول. وفي وطننا الأردني كانت الأحزاب وما تزال جزءًا من حياة الشعب الأردني المعروف بصلابة وقوة انتمائه للأمة العربية. ولكنْ أصيبت هذه الأحزاب كلها، وفي العالم العربي كله، بضربة كبيرة على أثر هزيمة حرب ١٩٦٧م التي أثبتت فشل هذه الأحزاب في بناء دول عربية حديثة وعصرية. وقد أبانت ممارسات هذه الأحزاب البون الشاسع بين ما تنادي به نظريًّا وبين التطبيق العملي على أرض الواقع والممارسة. وترجع حالة الابتعاد عن الأحزاب والنفور منها عند الناس إلى فشلها في الممارسات السياسية وفي المواجهة مع (إسرائيل) والغرب الأوروبي. وقد ارتبطت أكثر الأحزاب الأيدولوجية عند الفرد العربي بالقمع والدكتاتورية.

نعم لقد تخلصت بعض الأحزاب الآن من أساليبها وأيدولوجياتها، وأصبحت أقرب إلى منابر سياسية حسبُ. لكن لا بد من بذل المزيد من الجهد لإقناع الإنسان العربي أنها قد تغيرت فعلاً. ومن ناحية أخرى فإن عملية التغيير هذه عسيرة وصعبة لأن الذاكرة الجماعية والفردية العربية ما زالت تختزن الكثير من الآلام التي سببتها هذه الأحزاب. والقضية المطروحة -كما أرى- هي غربة الشعوب عن العمل الحزبي، وهي الغربة التي أوجدتها الأحزاب نفسها.

والله ولي التوفيق



إن توجه بعض الناس إلى التراث دون تحليل وفهم عميق لوظائفه التاريخيةً وعناصر الإبداع فيه التي مارسها صنّاعه، يشبه إلى حد كبير ميل بعض الدول المتخلفة عن ركب الحضارة والتقدم إلى استيراد منتجات العلوم والتكنولوجيا جاهزةً من الدول الصناعية المتقدمة التي قامت بتصنيعها بدون أية محاولة لاكتشاف قوانين العلوم الداخلية والمراحل المعرفية التي أوصلت إلى إنتاجها





إن الحياة البشرية ليست مواجهة مع الآخر بل مشاركة معه لخدمة الإنسانية والارتقاء بحضارتها



لغتنا العربيّة



أنا واللغة العربية.. في دارها!

زيد حمزة*

بعضُ الذين يتابعون مقالاتي في «الرأي» أو ما أقوله في منابر أخرى، وقد تعودوا مني وأنا أكتب تحديدًا عن اللغة العربية والمصاعب التي تواجهها أن أطلق تعليقات لاذعة أو قاسية على مجامع اللغة العربية عامةً في الوطن العربي، وحين أعتب عليها تقصيرها بحق لغتنا العزيزة أثناء المعاناة المتكررة للناطقين بها من بعض تعقيداتها، وانشغالها أو تشاغلها (كأجهزة بيروقراطية حكومية) بالعديد من القضايا اللغوية التي ربما تهم الأكاديميا أكثر مما تهم الناس في حياتهم -قد يصابون اليوم بالدهشة وهم يرونني أكتب في «البيان العربي» المجلة الثقافية التي يصدرها مجمعُ اللغة العربية الأردني، أي في عقر دارها، وكأنهم لا يدركون أن خلافي مع المجامع يدخل في باب الرأي والرأي الآخر فلا يُذهب للود قضية، ليس لأن لي في صفوفها أصدقاءَ أثق في إخلاصهم للُغتنا الوطنية وأقدّر جهودهم في خدمتها فحسب، بل لأني أعتبر انتقادي لهم من صميم واجباتي ككاتب مستقل، من عشاق لغة الضاد منذ طفولته وله معها صحبة جميلة حميمة ورحلة طويلة شائقة، رغم ما عانى في الحالين وما زال يعاني من مشاقّ نحوية توهّمتْ أجيالنا أنها قد فُرضت مؤبدةً على اللغة ممن كانوا ذات زمان خدمًا لها حقيقيين، ووضعوا قواعدها وضوابطها قبل قرون وقرون. والحقُّ أن هؤلاء لم يقولوا بذلك قط، ولم يدّعوا أنها غير قابلة للتعديل تحت ضغط الظروف وخبرات الاستعمال الطويل المنهك، أسوةً بما حدث للُغات الشعوب الأخرى، حتى لا تضعف وتذبل وتقصّر عن أداء وظائفها؛ فبعضها اندثرت تماما!

* وزير الصحة الأردني سابقًا، وكاتب عمود صحفيّ.

لا أريد أن أنبش ما كتبت سابقًا في هذا الصدد، وأنا أتحدث مثلاً عن صعوبات في بعض استخدامات معاجمنا التي ما زلنا نلجأ إليها، وهي على نفس حالها عندما وضعت قبل مئات السنين دونما تعديل أو تطوير، مع أن القدرة على القيام بذلك، خصوصًا في عصرنا الحاضر، قد غدت أسهل وأيسر وأدق وأشمل مع مستجدات التكنولوجيا الحديثة وعلوم الحاسوب، حتى إنني ندّدتُ ذات مرة بتقاعس مجامعنا اللغوية عن إنجاز ذلك قبل أن تفاجئنا به نيابةً عنا «شركات» الإنترنت العملاقة مثل غوغل وفيس بوك، أو على الأقل وكالات الأنباء الأجنبية خدمةً لأهدافها وفي مقدمتها السياسية.

ولا أريد أن أتحدث، وهذا هو الأهم، عن تقصيرٍ كبيرٍ ارتكبتّه كل مجامع اللغة العربية عندما تخلت عن مسؤوليتها الوطنية في المشاركة في الجهد العظيم الذي بذله لسنوات عديدة كلٌّ من مجلس وزراء الصحة العرب ومجلس وزراء التعليم العالي العرب واتحاد الأطباء العرب واتحاد الجامعات العربية، بدعم كامل من منظمة الصحة العالمية، لإنجاز المشروعٍ الرسمي الأول للانتقال الكامل لتعريب التعليم الطبي في جامعاتنا حسب خطة مدروسة دراسة وافية، وذلك في غضون عشر سنوات تبدأ العام ١٩٨٩م وتُختَتَمُ العام ١٩٩٩م. وقد جرى الاحتفال بالتوقيع عليه في دمشق في الثامن من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٨م، لكنه لم ير النور، وغاب عن حيّز التنفيذ، بشكلٍ غامض ودون أي توضيح أو تفسير أو تبرير، من قِبَل جميع الحكومات العربية الاثنتين والعشرين! ولا أزعم بالطبع أن تقاعس المجامع وحده كان وراء هذه المؤامرة المريبة على لغتنا وجامعاتنا ومجمل تعليمنا العالي.. وفي هذا الصدد لن يشفع لمجامعنا أن بعضها يصدّق أنه يساهم في ترجمةِ بعضِ كتبٍ علميةٍ تستغرق منه سنوات طوالاً تغدو معها قديمة خارج عصرها، مقابل ما تكون مطابع جامعات العالم قد أصدرته من عشرات جديدة غيرها أو محدَّثة أطلقتها لمنفعة الطلاب والدارسين..

أما ما أريد الحديث عنه اليوم، وربما لأول مرة، فهو البلبلة التي أوقعتّنا فيها بعض مصادر إعلامنا ومعلوماتنا ومطبوعاتنا أو دور النشر عندنا، باستبدال الأرقام المغربية التي كنا طوال عمرنا نعتبرها «أجنبية»: (1،2،3،...)، بالأرقام المشرقية التي عهدناها منذ مئات السنين على أنها «عربية»: (١،٢،٣،...). ولم يَجِد المواطن العادي أو عالي التعليم مقنعًا أو مجديًا ما فاضت به قرائح بعض المصفقين لكل ما هو غربي، من تسويغ مضحك بأن الأرقام الأجنبية هي أصلاً عربيةٌ استنادًا إلى مصدر أو مصدرين قديمين ليسا ملزِمَيْن حتى إن كانا صحيحيْن وثائقيًّا، وأن التي دأبنا على استعمالها هنديةُ الأصل، حتى بتنا نشهد

فوضى الارتباك والازدواجية في ساحات الطباعة والصحافة والنشر عمومًا، مما خلط الأمر على معظم القرّاء وشوّه انسياب الكتابة المألوفة..!

ولعل من الإنصاف أنْ أسجل هنا أنّ مجمع اللغة العربية الأردني اتخذ موقفًا صارمًا تضمَّن لزوم الاستمرار في استعمال الأرقام «العربية» كما عهدناها دائمًا.

وبعد.. فلن أمضي في طرح ملاحظاتي التي لم أزعم يومًا أنها تحمل أكثر من مغزى الملاحظات التي تحتاج بالطبع لمزيد من البحث والتمحيص كي تصل إلى مستوى المقترحات الرصينة التي تستحق اهتمام مجامعنا اللغوية في شتى أقطار الوطن العربي، قبل أن تخطفها منهم ومنا الشركات الأجنبية الكبرى من عابرة القارات التي أشرت لها آنفًا فتقوم بتحويلها إلى سلعة في أسواقها ولا هدفَ لها سوى تحقيق مزيد من الأرباح، أما اللغة العربية نفسها فلا تهم تلك الشركات، وأما أصحاب لغة الضاد فليستمروا في المعاناة حد شق الجيوب واللطم على الخدود.. دون جدوى!

موقف مجمع اللغة العربية من استعمال الأرقام المشرقية والمغربية

«دَرَسَ مَجْمَعُ اللغة العربية الأردني موضوعَ الأرقام دراسةً متأنيةً عبْرَ مسيرته التي تجاوزتْ أربعةَ عقود. وبعد مراجعة مستفيضة لما صَدَرَ عنه من دراسات وتوصيات وقرارات في هذا الشأن، واستجابةً للاستفسارات التي تُوَجَّه إليه عن هذا الموضوع، فقد قرّرَ تأكيدَ موقفه الثابت من الموضوع؛ ألا وهو استعمالُ الأرقام المشرقية (١،٢،٣،...) -التي كَتَبْنا بها منذُ قرونٍ وما زلْنا نكتب؛ باعتبارها جزءًا من لغتنا العربية وحضارتنا العربية الإسلامية- في جميع المطبوعات والمنشورات الثقافية والتربوية والعلمية والرسمية».

كما أكّد المجمعُ -بناءً على ما تفيد به أغلبُ الدراسات- الحقائق الآتية:

- أنّ كلا النمطين من الأرقام يرجع إلى أصل هندي، وأنه كان للعرب الفضلُ في تطويرهما.
- وأنّ الرقم المشرقي الذي نستعمله الآن أعرقُ في الاستعمال من الرقم المغربي؛ فالصورةُ المستعملة للأرقام المشرقية في المشرق العربي قد استقرت فيه منذ قرونٍ وأصبحتْ جزءًا من التراث العربي الإسلامي، وأصبح لها مسحةٌ إسلاميةٌ مثلما أنّ للحرف العربي مثل هذه المسحة. لذا فإن تغييرها إلى الأرقام المغربية تنبني عليه إيحاءاتٌ ضارةٌ نحن في غنًى عنها، ولا سيما في ظل الظروف التي تمر بها الأمة العربية، على حدّ تعبير المجمع.
- وأنّ الرقم المشرقي اكتسب عبر العصور صبغةً فنيةً جماليةً تستثير الإعجاب حتى عند غير العرب، شأنه في ذلك شأن الحرف العربي، وليس من المرغوب فيه أن يفقد هذا الرقمُ سِمَتَه الجمالية بالتحول عنه إلى الرقم المغربي.
- ولا مانع من اللجوء إلى الأرقام المغربية في التطبيقات الحاسوبية والعلمية عمومًا حيثما يلزم.

اللغة العربية بين مكانتين

عبد الحميد الفلاح*

تحظى اللغة بأهمية كبيرة في حياة الإنسان وتاريخه وحضارته وعلومه وثقافته. وقد قيل: إذا وُجدت اللغةُ وُجد الإنسان، وإذا غابت اللغة غاب الإنسان. ويقول الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه «التفكير اللساني في الحضارة العربية»: «...لأن الحدث اللساني ملازم للوجود البشري مهما تباعد المكان أو تعاقب الزمان، بل مهما تنوعت الألسنة واختلفت اللغات. ومعنى ذلك أن اللغة -من حيث هي وجود مطلق- لازمةُ الحضور مع الإنسان، وفي ذلك طابعها الكوني».

ويرى الدكتور كمال بشر في كتابه «**علم اللغة الاجتماعي**» أن اللغة وطن، وأن الإنسان إذا حُرم من موطنه على الأرض فإنه يجد موطنًا روحيًّا في لغته القومية التي يحسها دائمًا بحواسه كلها، وهي التي -لهذا السبب- سوف تصبح قوة حقيقية تمكنه يومًا من الحصول على موطن على الأرض.

ويجمل الدكتور عبد الحميد مدكور ذلك كله في بحثه الموسوم بـ«اللغة العربية والفرائض الغائبة» المنشور في كتاب «**الموسم الثقافي السابع والثلاثون لمجمع اللغة العربية الأردني**» فيقول: «إن اللغة هي وعاء العلم وخزانة الفكر ومستودع التراث والتاريخ، وهي ركن مهم من أركان الهوية وجامع قوي من جوامع الاجتماع الإنساني، وهي بهذا أقوى ما يعبر عن الإنسان في حقيقة وجوده وجوهر شعوره ووجدانه وإبداعاته، وفيها تتجسد ملامحه النفسية وقيمه الأخلاقية

* عضو مجمع اللغة العربية الأردني؛ توفاه الله في اليوم الموافق ٢٠٢١/٣/١٣. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومواقفه الفكرية التي يستشعرها تجاه الكون والحياة الاجتماعية».

وللغة العربية مكانتان (دينية ولغوية) مهمتان في حياة الأمة الإسلامية والعربية: المكانةُ الدينية ذاتُ أبعاد زمانية ومكانية، أما زمانيّتها فهي ممتدة بامتداد هذا الكون لكونها لغة القرآن الكريم، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، واستمراريتها تتمثل في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وأما مكانيتها فتتمثل في سعة انتشارها فهي في كل بقعة يذكر فيها اسم الله تعالى، لأنها وعاء الثقافة الإسلامية والأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف، وهي اللغة الوحيدة التي ترتبط بالدين ارتباطًا وثيقًا. وقد أشار علماء العربية والإسلام إلى ذلك في كثير من مؤلفاتهم، فهذا الثعالبي في كتابه «**فقه اللغة وسر العربية**» يقول: «...فإن مَن أحب اللهَ أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومَن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب... والإقبالُ على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين».

ويقول ابن تيمية في كتابه «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**»: «فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغًا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله وأقرب إلى إقامة شعائر الدين وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم». ويروي فتاوى لبعض كبار فقهاء الإسلام كالشافعي وأحمد بن حنبل مؤداها أن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فَهْمَ الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم كلاهما إلا بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلا به واجب.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «تعلموا العربية فإنها من دينكم». وثمة أقوال كثيرة في هذا الشأن، من أبرزها قول ابن خلدون في كتابه «**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**»: «ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب، ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة».

أما مكانتها اللغوية فتتمثل في بيانها الذي أفصح عنه ابن فارس في كتابه «**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**» في «باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها»: «...وإن أردت أن سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف

بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نُهية».

ولسنا بصدد المفاضلة بين اللغات، فقد أجريت في هذا دراسات ومقارنات كثيرة، وألفت كتب وتناثرت أفكار، وكل يغني على ليلاه كما يقال. وما نريد قوله: اللغة العربية تحتل مكانة لغوية عالية بين اللغات كما يقول المستشرق الأمريكي وليام باول: «إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

وقد أجريت دراسة في اليابان لمعرفة أكثر اللغات العالمية مواءمة صوتية في استخدامات الحاسوب فأثبتت صدارة العربية في هذه الناحية. وقد أكدت تلك الدراسة تميز العربية من ناحية الوضوح الصوتي. وتؤكد خصائصها اللغوية عالميتها من ناحية التزامها بالقاعدة الذهنية فيما يخص التوسط والتوازن اللغوي، فالعربية تجمع الكثير من خصائص اللغات الأخرى على مستوى فروعها اللغوية جميعها: كتابةً وأصواتًا وحروفًا ونحوًا وصرفًا ومعجمًا. وتتسم منظومتها بتوازن وثيق وتآخ محسوب بين فروع اللغة المختلفة.

ويذهب المهندس علاء الدين العجماوي في محاضرته الموسومة بـ«المعالجة الآلية للغة العربية بين الواقع والتحديات» المنشورة في كتاب «**الموسم الثقافي التاسع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني**» إلى أن مقارنةً بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية تؤكد سهولة العربية في التعامل مع التقانة الحديثة، وأن الإنجليزية ليست أسهل وأيسر منها في هذا التعامل. ويمكن حصر ما يقارب مئة وأربعة وأربعين جدولاً رياضيًّا سليمًا تتعامل مع جميع الأفعال العربية بدون استثناء. وتمثل تركيباتُ السوابق واللواحق في العربية ثراءً لا حد له، ويمثل البناء النحوي للغة العربية عمقًا دلاليًّا لا نظير له، حيث تحسم حركاتُ الإعراب المختلفة العديد من أوجه اللبس حسمًا لا يدع مجالاً لسوء الفهم.

ومن المؤكد أن العربية ليست عصيةً على استخدامات التكنولوجيا الحديثة، وليست عاجزة عن مواكبة التطورات والتغيرات المتسارعة في مجالات العلم والاقتصاد والسياسة والثقافة والتكنولوجيا، وهي ليست ميتة كما يحلو للبعض أن يصفها، فهي لغة حياة متنامية متطورة إذا أحسنا توظيفها في كل أمور حياتنا. والعيب ليس فيها بل في أهلها الذين لم يقوموا بخدمتها كما تعنى كثير من الأمم بلغاتها، فالحال كما قال الشافعي:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

وهذا ما دعا أحد المستشرقين إلى القول: «ما رأيت لغة في العالم أغنى من اللغة العربية، وما رأيت لغة في العالم مظلومة من أبنائها مثل العربية».

الآثار الخطيرة للضعف في اللغة العربية

موسى أبو رياش*

إن مظاهر الضعف في اللغة العربية كثيرة، ومنها: الضعف القرائي والكتابي، والأخطاء اللغوية والنحوية، والحديث بغير العربية، أو الخلط بينها وبين اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والتركية وغيرها، والركاكة في الكتابة، وضعف التعبير، واللحن الواضح المعيب في الحديث وخاصة في خطب الجمعة والمحاضرات، وكتابة الأسماء باللغة الإنجليزية على مواقع التواصل الاجتماعي، وتدني مستوى وقيمة المنتجات الأدبية والإبداعية،...إلخ.

وللضعف في اللغة العربية آثار خطيرة ونتائج وخيمة، ولا توجد -حسب علمي- دراسات أو أبحاث حول هذه الآثار، وإن وُجدت فهي محدودة جدًّا. وتشير هذه المقالة إلى بعض هذه الآثار بشكل مجمل وسريع، ومنها:

١- الضعف التحصيلي في المدرسة والجامعة

تعاني نسبة كبيرة من طلبة المدارس والجامعات من تدني مستواهم التحصيلي في كثير من المواد الدراسية، ويلاحظ أن الضعف التحصيلي لا يقتصر على مادة واحدة إلا نادرًا، إذ الغالب أنه يشمل عدة مواد دراسية أو كلها. ومعظم برامج ومشاريع وخطط علاج هذا الضعف التحصيلي تفشل، أو لا تؤدي إلى نتيجة مرضية، والسبب أن جميع هذه المعالجات لم تلتفت إلى السبب الجوهري، وهو الضعف في اللغة العربية في مهارة أو أكثر منها؛ فالطالب الذي يعاني من ضعف في اللغة قراءةً وكتابةً سينعكس ضعفه على بقية المواد الدراسية حتمًا، فإذا كان يعاني من ضعف في مهارة القراءة فكيف سيحسن قراءة المواد وخاصة التاريخ والجغرافيا والتربية الإسلامية والعلوم وغيرها. وإذا كان يعاني من ضعف في مهارة الكتابة فسيعاني كثيرًا عند متابعة شروحات

* مشرف تربوي متقاعد وخبير مناهج.

المعلمين وتدوينها، وفي أداء واجباته الدراسية، وتقديم امتحاناته. وإذا كان الضعف شاملاً لجميع مهارات اللغة العربية فسيكون الطالب عاجزًا تمامًا. والدليل على ذلك أن بعض الطلبة يتميزون بقدرة مدهشة على الحفظ، ولكنهم يعانون من ضعف كتابي، ولذا يفشلون في امتحاناتهم، وعند عقد امتحانات شفهية لهم يتفوقون، وهذا مؤشر على أن هذا الطالب ليس غبيًّا بل يعاني من ضعف تأسيسي في اللغة العربية.

إن إتقان اللغة العربية، وخاصة مهارتي القراءة والكتابة، هو السبيل للتعلم الفعال والتحصيل الوافي.

٢- خلل وقصور التفكير

ثمة اختلاف حول أن اللغة تسبق التفكير، أو أنها من لوازمه، ولكنّ من المؤكد أنها من أدوات التفكير المهمة، وأنه لا بد منها للتعبير عن الأفكار وترجمتها شفهيًّا أو كتابيًّا.

يقول فؤاد أحمد البراهيم في مقالته المعنونة بـ"ما هي علاقة اللغة بالتفكير؟" المنشورة في صحيفة الجزيرة السعودية: "إن اللغة وسيلة لإبراز الفكر من حيز الكمون إلى حيز التصريح، وهي عماد التأمل والتفكير الصامت، ولولاها لما استطاع الإنسان أن يسبر غور الحقائق حينما يسلط عليها أضواء فكره. وكان العالم ورف (Worf 1941) قد اهتم بطريقة تأثير العلاقات اللغوية على التفسير أو التعبير المعرفي للبشر، وكان له رأي يقول فيه بأن اللغات التي يتحدث بها البشر تؤدي بهم إلى فهم أو تصور العالم الذي يحيط بهم. وهذا يعني أن اللغة تلعب دورًا كبيرًا في تكوين المفاهيم، وفي العمليات العقلية، لذا كانت ضرورةُ تنمية الثروة اللغوية، فتقديمُ خبرات لفظية ذات معنًى يسهم في تطوير البناء المعرفي وفي تطوير خبرات جديدة وزيادة مفاهيم جديدة يضيفها إلى مخزونه، وكل ذلك يسهم في تحسين استراتيجيات التفكير. وتشكل الخبرات اللفظية ذات المعنى أبنية معرفية، مما يسهل عملية [حفظها] واسترجاعها، وهي في نفس الوقت وحدات التفكير التي تم تخزينها في البناء المعرفي للفرد، حيث إنه بزيادتها تزداد قدرة الفرد على معالجة الخبرات والقضايا والمواقف الجديدة التي يواجهها".

ويؤيد هذا الرأي -كما جاء في مقالة فاطمة العلي "علاقة اللغة بالفكر" المنشورة في بوابة نون الإلكترونية- الفيلسوف الإنجليزي هاملتون الذي يؤكد العلاقة الوطيدة بين اللغة والفكر حيث يقول: "إن المعاني شبيهة بشرار النار لا تومض إلا لتغيب ولا يمكن إظهارها وتثبيتها إلا بالألفاظ"، فاللغة هي الوعاء الذي تصب فيه الأفكار، وعليه فهناك وحدة عضوية بين اللغة والفكر، "فالألفاظ حصون المعاني"، كما يقول.



إن إتقان اللغة العربية، وخاصة مهارتي القراءة والكتابة، هو السبيل للتعلم الفعال والتحصيل الوافي



وهذا ما يؤكده أيضًا الفيلسوف الألماني هيغل الذي يرى أن الإنسان يفكر داخل اللغة

لا خارجها، وأن فعل التفكير لا يتحقق في استقلال عن فعل الكلام أو تركيب الجمل. ويستدل على ذلك بقوله إن الفكرة لا تكتسب وجودها الفعلي إلا عندما تصاغ صياغة لغوية. إن الصياغة اللغوية هي التي تجعل الفكرة تتحقق بالفعل، وبذلك نتمكن من الوعي بها. يقول: "إننا نفكر داخل كلمات"، ويقول أيضًا: "اللغة تعطي الفكر وجوده الأسمى".

وهذا يؤكد أهمية اللغة في التعبير عن الأفكار والمفاهيم والرؤى بشكل واضح ومنظم ومتناسق ومفهوم، وأيُّ ضعف في اللغة سيؤدي إلى اضطراب الأفكار وعدم وضوحها فتصل للآخرين بشكل مغاير للمراد منها، وربما يؤدي إلى عكس المطلوب، أو على الأقل خلاف المراد.

٣- ضعف البحث العلمي

اللغة من مرتكزات البحث العلمي، لأنها ترتبط بالمفاهيم والمصطلحات وتشكيل الروابط والعلاقات التي هي جوهر البحث العلمي وأساسه، ولذا فإن إتقان اللغة من ضرورات البحث العلمي، ولا يُعتدُّ ببحث علمي كُتِبَ بلغة ركيكة ضعيفة تفتقر إلى الرصانة والصياغة المحكمة ودقة الألفاظ وجودة البناء وتسلسل الأفكار.

نعم، قد يعتمد بعض الباحثين على غيرهم في التدقيق اللغوي والصياغة والتراكيب، ولكن بحوثهم ستفقد أرواح أصحابها وبصماتهم، لأن اللغة هي التي تشكل ذلك. وبغيرِ لغة محكمة يفقد البحث هويته وأباه الحقيقي. نستطيع أن نقول إن هذه أفكار فلان، ولكننا نجانب الحقيقة إن قلنا إن هذا أسلوبه أو طريقته، فهذه ترتبط باللغة ارتباطًا عضويًّا.

وبما أن البحث العلمي هو نتاج تفكير في الأساس، والتفكير يحتاج إلى لغة سليمة لتجسيده حروفًا وكلمات ومفاهيم، فإن البحث العلمي سيتأثر حتمًا بالمستوى اللغوي للباحث من حيث الجودة والأصالة والوضوح والترابط والتسلسل والترتيب وغيرها من العوامل المرتبطة باللغة.

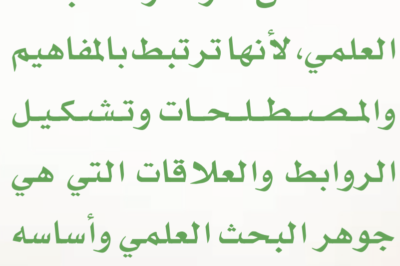
٤- ضعف الإنتاج الأدبي

الإنتاج الأدبي، وخاصة فنون الإبداع، لعبة لغوية أولاً وأخيرًا. وإتقان اللغة بمهاراتها المختلفة شرط أساسي للكتابة الإبداعية، وبقدر امتلاك الكاتب للمهارات اللغوية وثروة المفردات تكون القدرة على الإبداع بجودة وإتقان.

قد يُقبل الضعف اللغوي المحدود في جانب معين، لكن الضعف اللغوي على إطلاقه لا يمكن أن يقبل من كاتب أدبي، لأن اللغة هي عماد هذا النوع من الكتابة، وتفردُه فيها وتميزه يعتمد على قدرته في الألعاب اللغوية والخروج بها عن المألوف والنمطية.

يخطئ من يظن أن اللغة أمرها سهل، وأن المهم هو الأفكار وموضوع الكتابة، ففي اللغة يكمن سر الإبداع، إذ إنها الحامل







للمعاني والناقل للأفكار. وبغير لغةٍ سليمة وعبارة محكمة وسردٍ سلس تفقد الكتابة نكهتها وتأثيرها ومبرر وجودها.

وإن اعتماد البعض على مدقق لغوي أو محرر أدبي قد يحل جانبًا من المعضلة، ولكنه يفقد النص استقلاليته، ويشكك في نسبته للكاتب، ويعكر صفوه، ويجعله رهين تأويلات وحملات تشكيك بأنه نص هجين متعدد الآباء. وهذا لا يعني ألّا يستعين الكاتب بمدقق لغوي أو محرر أدبي بالحد الأدنى المعقول الذي لا يؤثر على هوية النص وروح الكاتب وبصمته.

إن الأفضل والأسلم لمن يعاني من ضعف لغوي أن يبتعد عن دروب الكتابة ومسالكها، فلم تُخلق له ولم يُخلق لها، وأيُّ نتاج أدبي له لن تتحقق فيه الجودة والإبداع والأصالة، إلا إذا تدارك ضعفه اللغوي وأعاد تأهيل ملكاته اللغوية في جميع المهارات.

٥- ضعف الشخصية

لا شك في أن اللغة من عوامل بناء الشخصية الإنسانية وتكاملها. وتعكس لغةُ الشخص صورةً واضحة عنه للآخرين، فاللغة هي مرآة شخصية المرء وما تتميز أو تنفرد به عن الآخرين، وكلما كانت لغة المرء قوية انعكس ذلك على شخصيته، وربما تلعب اللغة دورًا مخادعًا فلا تعكس حقيقة المرء بل تعكس ما يتحلى به من قدرات لغوية، وهذا مؤشر قوي على مدى سطوة الشخصية وتأثيرها على الآخرين؛ فالشخص المتمكن لغويًا، وخاصة في الكلام الشفاهي المباشر، يمتلك القدرة على التأثير والإقناع وتغيير القناعات والاتجاهات وكسب الأنصار ومناظرة الأغيار.

إن اللغة في الحقيقة سلاح قوي لا غنى عنه في ساحة المواجهات الفكرية والسياسية. والأقوى لغةً، والأقدر على تطويع اللغة، والأعرف بفنونها ومتونها، هو الأقرب إلى الفوز وكسب المعركة وإنْ كان على باطل. كما أن إتقان اللغة ضروري للقراءة الواعية التي لا غنى عنها لبناء الشخصية المتكاملة المتوازنة الواثقة من نفسها، وهي مطلوبة للاحتكاك بالآخرين واستخلاص ما عندهم من علم ومعرفة. ومن هنا، فإن أثر اللغة كبير جدًّا على المرء، وهي من عوامل الشخصية المؤثرة الفاعلة. فالشخص الذي يعاني من ضعف في اللغة شخص ضعيف الشخصية غالبًا، قد يظل مهزوزًا مترددًا يشعر بالنقص وربما الدونية.

٦- اضطراب العلاقات الاجتماعية

أشرنا سابقًا إلى أن ضعف اللغة يؤدي إلى ضعف الشخصية واهتزازها، وهذا يقود بالضرورة إلى اضطراب العلاقات الاجتماعية مع الآخرين؛ فالطفل الذي يعاني من ضعف كبير في القراءة داخل الغرفة الصفية سيقابل بالسخرية من أقرانه، وهو ما يؤدي غالبًا إلى انسحابه وانعزاله وتقوقعه وعدم ثقته بنفسه. إن الشخص الذي يعجز عن التعبير عن نفسه بوضوح دون تلكؤ سيعاني كثيرًا وسيخاف دائمًا من مواجهة الآخرين في المواقف الكلامية الرصينة.

وبشكل عام، فإن الضعف اللغوي قد يسبب العزلة والتقوقع، وربما الخوف والقلق والاضطراب

وعدم الثقة بالنفس، والهروب من المواجهات مهما كانت نوعيتها أو ضرورتها، وقد يُفضِّل أن يخسر كثيرًا من الفرص خوفًا من المواجهة، وهو شخص متردد ويفتقد أي حماس أو دافعية.

٧- خلل في الانتماء

اللغة والهوية صنوان متلازمان، فلا هوية بلا لغة، واللغة القوية تمنح صاحبها هوية قوية تستدعي الفخر والاعتزاز، واللغة الضعيفة تضع أصحابها في مأزق انتماء لا يحسدون عليه.

إن ضعف المرء في اللغة العربية يؤثر على مدى إيمانه بهويته العربية وارتباطه بمحيطه العربي. وتزيد المشكلة إذا كان يخلط لغته بلغات أخرى للتغلب على ضعفه أو عقدة النقص عنده؛ لأن المرء الذي يعتز بهويته يأبى أن يتحدث إلا بلغته، فخرًا واعتزازًا بها، ويشعر بالانتماء إلى عالمه العربي الممتد ويحدوه الأمل بمستقبل مشرق باسم يعيد للأمة مجدها وللغة ألقها وسطوتها وتأثيرها الجامع الموحد الملهم.

إن الضعف اللغوي لا يعني بالضرورة ضعف الانتماء والشعور بالهوية، ولكنه قد يعبد الطريق إلى ذلك ويغري ضعاف النفوس وعديمي الثقة بالنفس والأمة، كما أن ضعف الانتماء لا يتأتى عن ضعف لغوي فقط، بل هناك أسباب كثيرة لذلك ليس هنا محل ذكرها فموضوعها مختلف.

٨- تركة هزيلة للأجيال القادمة

الضعف في اللغة ينعكس بالضرورة على حركة التأليف والترجمة بشكل عام، ويؤثر على مستواها وجودتها وأصالتها، كما أنه يؤثر على مجالات مختلفة كثيرة منها التعليم والإعلام والفنون والثقافة الشعبية ومستوى الخطاب والحوار وغيرها، وكل ذلك يُوَرَّث للأجيال القادمة التي ستجد بين يديها إرثًا هزيلاً ضعيفًا قد تحاول أن تتبرأ منه أو تتجاهله، لأنه بالتأكيد أحد الأركان المؤسسة لمستقبلها، فإذا لم يكن قويًّا مشرّفًا فهو جدار هش تخشى الاستناد إليه أو الاعتماد عليه!

إن الشعوب الحية تسعى أن تورث من بعدها تركة متينة ثمينة تدعوها للفخر والاعتزاز والمباهاة بها بين الأمم، فنحن العرب ما زلنا نتفاخر بالعصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية وما تركته من نتاج حضاري مشرف، وخاصة في مجال اللغة والأدب؛ فمؤلَّفاتُ الأعلام مثل الجاحظ والأصمعي وابن عبد ربه وابن عبد البر وابن المقفع وغيرهم، ما زلنا نعتمد عليها ونتخذها مصادر لا غنى عنها.

٩- عدم تقدير الآخرين

لا جدال في أن قوة لغة قوم تفرض على الآخرين احترامها واحترامهم، وتتأتى قوة اللغة بحركة التأليف والترجمة منها وإليها، وحرصِ الآخرين على تعلمها، واعترافِ المنظمات الدولية بها لغةً رسمية، وتطورِها والاحتفاء بها من خلال المؤتمرات والندوات وغيرها. فاللغة الإنجليزية مثلاً، هي أقوى لغة في العالم لما لها من حضور قوي طاغٍ في كل المحافل والمجالات، ولأنها لغة العلم والبحث، وبها تنشر أهم نتاجات الفكر البشري في كل الموضوعات. تليها اللغة الفرنسية، وثمة لغات عديدة تحظى بالاحترام والتقدير مثل الألمانية

والإسبانية والصينية واليابانية والروسية.

من المجحف القول إن اللغة العربية لغة مهمشة ثانوية، ولكن حضورها لا يرقى إلى المستوى المأمول ولا نِصْفه، خاصة أنها لغة القرآن الكريم الكتابِ المقدس لكل المسلمين في الأرض الذين يزيد عددهم على مليار ونصف، وهي اللغة الرسمية القومية لما يزيد على (٣٥٠) مليون عربي.

إن قوة اللغة تكسب الناطقين بها حضورًا قويًّا ومكانةً مرموقةً وتأثيرًا فاعلاً وقبولاً كبيرًا واهتمامًا لافتًا. ولكن الضعف النسبي في اللغة العربية الذي تعاني منه الشعوب العربية انعكس سلبًا على هذه الشعوب وجعلها تابعة لاهثة خلف الآخرين تبحث عن ذاتها وهويتها هنا وهناك، تتنقل بين القوى لا تركن إلى شيء.

> إن قوة اللغة تكسب الناطقين بها حضورًا قويًّا ومكانةً مرموقةً وتأثيرًا فاعلاً وقبولاً كبيرًا واهتمامًا لافتًا

إن الدول الأخرى القوية لا تنظر إلى العرب من زاوية حضارية تستحق الاحترام، بل من زاوية مصالحها الاقتصادية وكون العالم العربي سوقًا استهلاكيًّا كبيرًا لصناعاتها ومنتجاتها ومصدرًا رخيصًا متاحًا للنفط وممرًّا لحركة ناقلاتها وأساطيلها التجارية والعسكرية. أما من حيث النتاج الفكري والأدبي والعلمي فهو في أدنى درجات اهتمام العالم الغربي؛ وحركةُ الترجمة من العربية تؤكد هذه الحقيقة المرة.

إن إسهامنا في تطور البشرية محدود للغاية، لا يتناسب وتعدادنا وتاريخنا المشرف، وهذا يدعونا أن نعيد النظر في كل شيء، وخاصة في مجال اللغة العربية وإنتاجنا الأدبي والفكري والعلمي وحركة الترجمة إلى اللغات الأخرى ومنها.

١٠- استسهال العامية والإعلاء من شأنها

إن الضعف في اللغة العربية يجعل من العاميات بديلاً سهلاً متاحًا تحت ذرائع ومبررات لا حصر لها، وهذا ما دعا بعضهم للدعوة إلى اعتماد العامية في حركة الكتابة والتأليف والتعليم والصحافة والإعلام؛ بدعوى أنها أقرب إلى الفهم وأسهل في التعليم!

وعلى الرغم من تهافت هذه الحجج والدعوات، إلا أنها تشكل خطرًا وتجد تجاوبًا بين الحين والآخر، ويلاحظ تسلل العامية في الفنون الأدبية بحجة الحفاظ على الواقعية ومراعاة مستوى الشخصيات وثقافتها، كما أن العامية تتمدد في لغة الصحافة والخطابة وحديث المدرسين في المدارس والجامعات والمساجد والندوات والمؤتمرات، وهو ما يجعلها مقبولة نفسيًّا عند المتلقين!

ويكفي أن نذكر أن تفشي العاميات وعلو شأنها يجعل من كل بلد أو منطقة عربية جزيرة معزولة عن غيرها، ويزيد من عوامل الفرقة والاختلاف وصعوبة التواصل. إن اللهجات العامية محلها البيت والشارع، وأما في غير ذينك فخطرٌ وإضعافٌ متعمد





للغة العربية ونيلٌ من مكانتها ومستقبلها، ولذا يجب أن تحارب أي دعوة لتبني العامية لغةً للكتابة والتأليف والتدريس والمعرفة.

١١- الجرأة على اللغة واللعب بقواعدها

إن ضعف البعض في اللغة العربية يدفعهم للجرأة عليها بدعوتهم لكتابتها حسب أهوائهم دون التقيد بقواعد الإملاء والنحو والصرف بحجة التسهيل وتبسيط اللغة وجعلها متاحة للجميع. ومع أن الحاجة ملحة لوضع خطط وبرامج لتعلم اللغة العربية بطرق حديثة وبأساليب إبداعية مبتكرة، إلا أن هذا لا يعني اللعب بقواعد اللغة وتركيبتها، لأن هذا من شأنه أن يخلق سدًّا بين ماضي اللغة ومستقبلها ويصعب على الأجيال القادمة أن تفهم لغة الأسلاف، وهو ما يقطع الصلة بينهما ويحرم الأجيال القادمة من ثروة ضخمة لا يمكن أن تعوض.

إن الخروج على قواعد اللغة بذريعة صعوبتها يعني باختصار هدم اللغة ونشوء أجيال غريبة عن ماضيها وضائعة في مستقبلها، ولذا يجب على أهل اللغة ومحبيها العمل على حمايتها بتسهيل تعلمها وابتكار الوسائل والأدوات التي تجعل من تعلمها متعة، بعيدًا عن التنظير والتقعير. إن اللغة -بلا ضوابط تحكمها أو قواعد تبنيها- مائعة هلامية لا قوام لها، مآلها الزوال لا محالة.



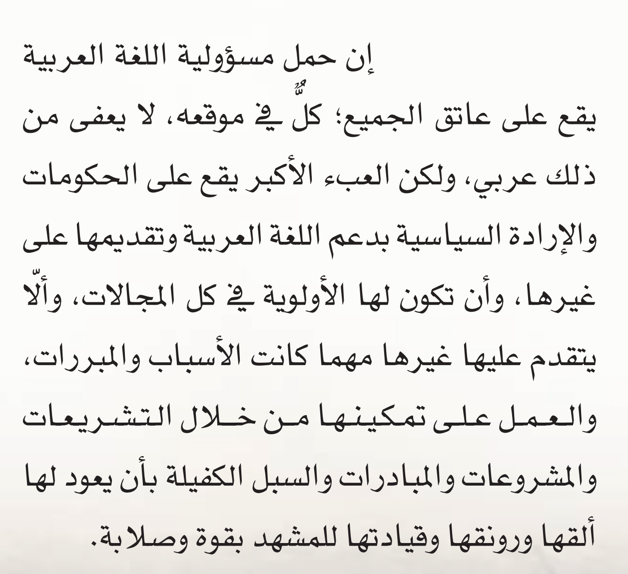
إن حمل مسؤولية اللغة العربية يقع على عاتق الجميع؛ كلٌّ في موقعه، لا يعفى من ذلك عربي، ولكن العبء الأكبر يقع على الحكومات والإرادة السياسية



ما سبق من آثار ضعف اللغة العربية يحتاج إلى دراسات وأبحاث نظرية وعملية لتوصيفها بشكل علمي دقيق وتبيان تأثيرها للخروج بتوصيات محددة قابلة للتطبيق تنقذنا من هذه الحالة التي لا تسر صديقًا ولا تغيظ عدوًّا.

والمخرج من هذا الوضع المؤلم والمعيب، هو العمل على تأسيس الطلبة باللغة العربية وإتقانها قراءةً وكتابةً وتعبيرًا وحوارًا وتذوقًا منذ مرحلة الطفولة، ولا يتأتى ذلك إلا بوضع خطط واستراتيجيات غير نمطية، وعدم السماح بتدريسهم أي لغة أخرى قبل إتقان اللغة العربية، لأنها الأساس واللبنة الأولى. وبعد التمكن منها، لا مانع من تعلم غيرها، فلم تقم لأي دولة في العالم قائمة إلا باعتماد لغتها الوطنية أولاً لغةً للعلم والفكر والأدب وكل مجالات الحياة.

إن حمل مسؤولية اللغة العربية يقع على عاتق الجميع؛ كلٌّ في موقعه، لا يعفى من ذلك عربي، ولكن العبء الأكبر يقع على الحكومات والإرادة السياسية بدعم اللغة العربية وتقديمها على غيرها، وأن تكون لها الأولوية في كل المجالات، وألّا يتقدم عليها غيرها مهما كانت الأسباب والمبررات، والعمل على تمكينها من خلال التشريعات والمشروعات والمبادرات والسبل الكفيلة بأن يعود لها ألقها ورونقها وقيادتها للمشهد بقوة وصلابة.



بعض التعابير والأساليب اللغوية في العربية المعاصرة: بين الأصالة والاقتراض

محمد الهروط*

تحوي العربيةُ المعاصرة واللهجات المحكية العديدَ من التعابير اللغوية التي تؤدي دورًا فاعلاً في الخطاب المتداول نطقًا وكتابة، لكونها جزءًا من نسيج اللغة التي يتداولها الناطقون بالعربية للتعبير عن أغراضهم وأفكارهم.

على أن بعض اللغويين المحدثين يرى أنه ليس بالضرورة أن يكون كل تعبير أو أسلوب مستعمل في العربية المعاصرة قد خرج من رحم العربية المتوارثة؛ لأن بعضها جاء تأثرًا باللغات الأجنبية من خلال الترجمة التي كان لها الأثر البالغ في ذلك؛ لذا عُدَّت هذه التعابير والأساليب أجسامًا غريبةً في العربية، ولا شك في هذا الأمر؛ فلا ننفي التأثر والتأثير بين اللغات؛ لأنه أمر طبيعي ومن سنن اللغات التي أقرها جمهور اللغويين، فلا نجد لغةً في العالم منكفئةً على نفسها، فالعربية منذ القدم أثّرت وتأثرت على صعيد الألفاظ والتعابير والأساليب.

لكننا في الوقت عينه نلحظ تسرعًا في بعض الآراء التي تطرح حول تأثر العربية بغيرها، إذ يسارع بعض اللغويين إلى عد بعض التعابير والأساليب المستعملة في العربية المعاصرة من باب التأثر باللغات الأخريات، وهذا الأمر ينشأ جراء مقابلة تعابير العربية وأساليبها بالوافد إليها، تلك المقابلة التي تجري حسب كفاية اللغويين المعرفية النظرية بأساليب العربية ودلالات ألفاظها، وهم معذورون في ذلك؛ لأن العربية –للأسف– ما زالت تشكو من عدم وجود ذخيرة لغوية عربية لشعرها ونثرها.

* أستاذ مساعد- الجامعة الألمانية الأردنية.





ورغم وصْم العديد من التعابير والأساليب بأنها أجنبية الأصل، فَرَضَتْ نفسها بقوة في الاستعمال اللغوي المعاصر، وباتت شائعةً ذائعةً على ألسنة الناس، لكن التساؤل الذي يقدح في الذهن: هل كل التعابير والأساليب اللغوية المقترضة جاءت وافدةً حقيقةً؟ أم أنها امتداد طبيعي لاستعمالها في العربية عبر العصور؟

إن تقديم إجابة دقيقة عن هذا التساؤل دون توافر ذخيرة لغوية عربية سيكون ضربًا من التعميم المتسرع، وهو الأمر الذي حدث مع بعض الباحثين، إذ ادّعَوْا أن بعض التعابير والأساليب انسلت إلى العربية المعاصرة نتاج الترجمة، والحقيقة خلاف ذلك، وما يُثبت ذلك الدواوين الشعرية.

فمع اعترافي بتأثير الترجمة على التعابير والأساليب في العربية المعاصرة، لكن بعض التعابير والأساليب اللغوية -التي ظُن أنها مقترضة- لها وجه في الاستعمال في العربية قديمًا، ومن الأمثلة على ذلك:

١- (استعمال أسلوب العطف "بل و"):

إذا عدنا إلى (المعجم الوسيط) رغبةً في معرفة معاني الحرف (بل)، فإننا نعثر بين تضاعيف المعاني على الحكم التالي: "وفي لغة المحدثين تكثر زيادة (الواو) بعد (بل) وهو أسلوب محدث"، وظاهر القول يشي أن أسلوب (بل و) لم يرد في اللغة العربية الفصيحة، لكنّ هو أسلوب جديد في لغة الصحافة والإعلام والترجمة، ويبدو أنه من مغبة التأثر بأسلوب (العطف) في اللغة الإنجليزية not only…but also، وربما اعتمد مؤلفو (المعجم الوسيط) في بناء رأيهم على القاعدة النحوية: لا يجوز دخول حروفِ العطف بعضِها على بعض.

والحقيقة أن الأمر ليس كما تُوُهم؛ لأن الدكتور عباس السوسوة درس هذا الأسلوب وأفرده بدراسة مستقلة معنونة بـ(أداة العطف «بل و» في العربية)، فراح يفتش عن مواطنه ويتتبع شواهده في الأدب العربي القديم، وبعد التنقيب أثبت -بشواهد عديدة- أن هذا الأسلوب مستعمل في العربية قديمًا، وقد اعترف في بداية دراسته بعدم ورود هذا الأسلوب في الشعر الجاهلي، أو القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو في النصوص اللغوية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وأن أول من استعمله الشاعر أبو نواس في قوله:

ما حُجَّتي فيما أتَيْتُ، وما ❖❖❖ قولي لربّي، بَلْ وما عُذْري؟

ومع ذلك، فإنني عثرت مصادفةً -من خلال مطالعتي لكتاب (فتوح الشام) للواقدي- على شاهد شعري أقدم ينسب إلى عمار بن ياسر العنسي في نعي سليمان بن خالد، وعبد الله بن مقداد:

بل واندُبي الأخيارَ مِن بعدهم ❖❖❖ وكلُّ قَرْمٍ للمَعالي مُصيبُ

٢- (ذرّ الرماد في العيون):

يُستعمل التعبير في العربية المعاصرة للدلالة على ستر الحقيقة، أو التضليل، أو صرف الانتباه عن شيء يقصده المتكلم، وهذا المعنى مستمد مما يُحدثه ذر الرماد أو التراب في الوجه من حجب للرؤية.

ويرى بعض الباحثين أن هذا التعبير جاء من اللغات الأجنبية بفعل الترجمة، ويحددون وجوده في الإنجليزية بالتعبير To throw dust in the eye، والفرنسية بالتعبير Il jette de la poudre aux yeux.

والحقيقة أن هذا التعبير باعتبار لفظه (ذر الرماد/ مل الرماد) ليس أجنبيًّا خالصًا، وقد يكون المعنى الدلالي المقترض هو الجديد؛ لأن التعبير استعمله الأصمعيّ؛ فقد روى الحاتمي في كتابه (حلية المحاضرة) والمظفر العلوي في كتابه (نضرة الإغريض في نصرة القريض) أن هارون الرشيد اختلف مع يحيى بن خالد البرمكي في أشعر بيت قالته العرب في التشبيه، فاستدعى الأصمعيَّ إلى مجلسه لمعرفة رأيه في ذلك، فلما أبدى رأيه لقي استحسانًا عند الرشيد فغضب البرمكي! وقد وصف الأصمعي حال البرمكي لانبهاته وصدمته بقوله: «كأن الرماد ذر في وجهه».

٣- (الضحك على الذقون):

يُوظَّف التعبير في العربية المعاصرة للدلالة على الخداع، ويرى بعض اللغويين أنه لم يرد في كلام العرب، بل هو ترجمة للتعبير الفرنسي Il rit dans sa barbe.

على أن الشاعر ابن أبي حَجَلة التِّلمساني -وهو من شعراء العصر المملوكي- استعمله في ديوانه (ديوان الصبابة):

وإذا بدا لكَ ثَغْرُه مُتَبَسِّمًا ❖❖❖ فاضْحَكْ على ذِقْنِ العَذُول وقَهْقِهْ

٤- (دموع التماسيح):

جاء استعمال التعبير (دموع التماسيح) مجازيًّا في لغات العالم إشارةً إلى الإنسان غير الصادق في مشاعره، إذ يذرف الدموع المصطنعة من أجل الخداع وكسب العطف والشفقة من الآخرين. ومن مكافئات الإنجليزية لهذا التعبير To shed crocodile tears، وبالفرنسية Il pleure aux Larmes de crocodile.

وقد ورد معنى هذا التعبير عند الشاعر ابن المعتز في قوله:

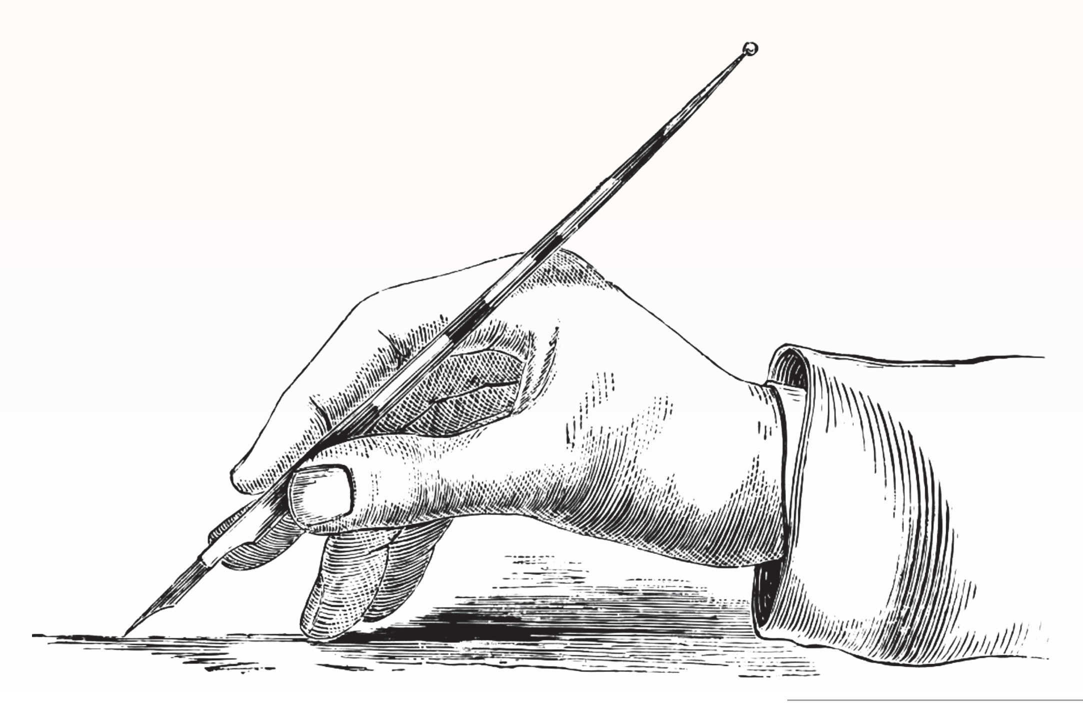
ثمّ بَكَوْا مِن بَعده وناحُـــوا ❖❖❖ جَـهْـلاً، كـذاكَ يَـفـعـلُ التِّـمْـسـاحُ

تأسيسًا على ذلك، إنّ وجود المدونات اللغوية ليس ترفًا، بل حاجة تتطلبها اللغات الحية، بهدف خدمتها ونشرها، فلم يَعُد للارتجال والتخمين وإطلاق الأحكام اللغوية مكانٌ في ظل التطور التكنولوجي، والعربية على امتداد عمرها الطويل أحوج اللغات إلى مدونة لغوية شاملة كاملة، تلم شعث ما تناثر من نصوصها هنا وهناك لتكون بين يدي الباحثين الراغبين في خدمتها تعليمًا وتطويرًا، فلو توافرت لها مدونة لغوية لاستطعنا تمحيص العديد من القضايا اللغوية المتعلقة بها في المستويات الأربعة: النحوي، والصرفي، والدلالي، والصوتي.

مِن أخطاء محقِّقي الشعر القديم

حسن الحضري*

تعتمد عملية النقد على تحليل النص والوقوف على جيده ورديئه وصوابه وخطئه؛ وهذا يتطلب من الناقد قراءة النص بالشكل الذي أراده صاحبه، وفقًا لمعايير الفن الذي يندرج تحته النص، آخذًا بعين الاعتبار كل ما يعينه في فهم النص، كالإلمام بسيرة الكاتب وموضوع النص، بجانب أدوات النقد الأخرى من استقراء واستنباط ونحوهما؛ فحين يتناول الناقد قصيدةً مثلاً، عليه أن يقرأها قراءةً توافق قواعد الشعر واللغة، مع مراعاة احتمال وقوع سقطٍ أو زيادة أو تصحيف أو تحريف أو نحو ذلك.



* عضو اتحاد كتاب مصر.

وحين يكون النص تراثيًّا؛ فلا بد -إضافةً إلى ما سبق- من مراعاة عصره والعصر الذي نُسِخ فيه وطبيعة النَّسخ في ذلك العصر، وهل نسخه صاحبه بخطه أم نسخه غيره.. فذلك كله من عوامل الاستقراء التي يجب اتباعها وتطبيقها في عمليتي النقد والتحقيق؛ وكم من نصوص أصابها التصحيف والتحريف مِن قِبَل بعض المحققين والنقاد بسبب عدم مراعاة ضوابطها وقواعدها!! والنتيجة الحتمية لذلك تفسيرٌ غير صحيح أو نقدٌ جائر، إضافةً إلى نسبة النص المصحَّف إلى غير صاحبه الحقيقي.

تعتمد عملية النقد على تحليل النص والوقوف على جيده ورديئه وصوابه وخطئه؛ وهذا يتطلب من الناقد قراءة النص بالشكل الذي أراده صاحبه

ومن ضوابط القراءة أنه إذا احتَمل النص غيرَ وجهٍ في قراءة لفظه أو توجيه معناه، وجب حمله على أقرب الوجوه إلى الصحة بما يناسب السياق ويلائم شخصية صاحبه؛ فالأصل في رواية تراثنا العربي المشافهة، ثم جاء عصر التدوين فانقطع اتصال الرواية بمن عاشوا قبل الإسلام، واعتُمد على التدوين والرواة الذين ظهروا بعد الإسلام، وكان من هؤلاء الرواة مَن لا يقول الشعر، إضافةً إلى عرضة التدوين للتصحيف والسهو بزيادة حرف أو نقصه ونحو ذلك، وهو ما كان له أثر واضح في فهم النص المكتوب، ومن ذلك ما جاء في "معجم ما استعجم" للبكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) أنه: "قرئ يومًا على الأصمعي [ت٢١٦هـ] مِن شعر أبي ذؤيب [ت٢٧هـ]:

بأسفلِ ذاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ جَحشُها ... فقَدْ وَلِهَتْ يومينِ فهْي خَلُوجُ

[وولهت بمعنى: حزنت لفقدانه، والناقة الخلوج: التي جُذِب عنها ولدها بذبح أو موت فحنّت إليه وقلّ لذلك لبنها، كما في "لسان العرب" لابن منظور] قرئت (ذات الدَّير) بالياء ...، فقال أعرابي بالحضرة للقارئ: ضلَّ ضلالك، إنما هو (ذات الدَّبر) -بالباء الموحدة- وهي ثنية عندنا؛ فأخذ الأصمعي بذلك بعدُ".

ومن الأخطاء التي وقع فيها بعض النقاد والباحثين والمحققين في عملهم نتيجةً لعدم مراعاة ضوابط القراءة، ما وقع فيه محقق ديوان عمرو بن قميئة (ت٨٥ق.هـ) عند قوله:

لا تحسبَنَّ الدهرَ مُخْلِدَكم ... أو دائمًا لكُمُ ولم يَدُمِ

لو دامَ [دامَ] لِتُبَّعٍ وذوي الـ ... أصناعِ مِن عادٍ ومِن إرَمِ

حيث ضبَط المحقق البيت الثاني بدون ذكر (دام) الثانية، وعلى افتراض أن البيت ورد بدونها في النُّسخ التي وَقَفَ عليها، كان يجب عليه أن يقرأ البيت قراءةً توافق ضبط العروض والسياق، وقد ورد البيت صحيحًا

في تحقيق غيره.

وكذلك ما وقع في تحقيق ديوان قيس بن الخطيم (ت٢ق.هـ) عند قوله:

وإنَّــا مَـنـعـنـا في بُـعـاثٍ نسـاءنـا   ومـا مَـنـعـتْ (مِـلْـمُـخـزياتِ) نسـاءَهـا

فقد جاء في الديوان المحقَّق مكسور الوزن بلفظ (من المخزيات)، والصواب أنها بحذف النون وهمزة (ال) التي تليها. وكذا قوله:

أتـتْ عُـصَـبٌ (مِـلْـكـاهـنـين) ومـالـكٍ   وثـعـلـبـةَ الأَثـريـنَ رهـطِ ابـنِ غـالـبِ

فقد جاء في الديوان المحقَّق مكسورًا بلفظ (من الكاهنين).

ومن القراءات التي جانَبها الصواب قراءة المرزباني (ت٣٨٤هـ) بيتَ دريد بن الصمة (ت٨هـ)، حيث ذَكر الإقواء فقال في "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء": "كقول دريد بن الصمة:

نـظـرتُ إلـيـه والـرِّمـاحُ تَـنُـوشُـهُ   كـوَقْـعِ الصَّياصي في النَّسيجِ المـمدَّدِ

[ومعنى تنوشه: تتناوله، والصياصي: جمع صيصية، وهي شوكة الحائك التي يسوِّي بها السَّداة واللُّحمة. كما في اللسان]. ثم قال:

فـأرهـبـتُ عـنـه الـقـومَ حـتـى تـبـدَّدوا   وحـتـى عـلانـي حـالـكُ الـلـونِ أسودُ".

وما ذهب إليه المرزباني وهمٌ منه، والصواب أنه بإضافة ياء النسب كما رواه أبو زيد القرشي (ت١٧٠هـ) في "جمهرة أشعار العرب":

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تنفَّستْ   وحتى علاني حالِكُ اللَّونِ أسْـوَدِي

فالأصل أنه (أسوديُّ) ثم أَهمل الشاعر حركة الياء لضبط الوزن، والدال قبلها مكسورة، فلا إقواء في البيت. وجاء في الموشح أيضًا بعد أن ذكر الإكفاء: "قال: وسمعت بعض العرب ينشد:

إنْ يـأتِـنـي لـصٌّ فـإنِّي لـصُّ
أطـلـسُ مِـثـلُ الـذِّئـبِ إذْ يَـعـتَـسُّ
سَـوْقِـي حُـدائـي وصَـفـيري النَّسُّ"

ومعنى أطلس: في لونه غُبرة إلى السواد، ويعتسُّ: يطوف بالليل لطلب شيء يأكله، والنَّسُّ: سرعة الذهاب

لِورد الماء؛ كما في اللسان. وعند النظر نجد أن الأمر لا يعدو التصحيف؛ حيث تصحَّف قول الراجز (لَسُّ) -بفتح اللام وبالسين المهملة- إلى (لِصُّ). قال في "لسان العرب": "لَسَّ يَلُسُّ لَسًّا؛ إذا أَكل"، والبيت بلفظ (لَس) مناسب للمعنى والسياق.



الإلمام بسيرة صاحب النص له دور كبير في معالجة ما قد يرِد عنه من أخطاء؛ حيث يتيح ذلك للناقد استنباط مصدر الخطإ وسببه



يتضح من النماذج السابقة أن السبب هو التصحيف والسهو في أثناء النَّسخ، وعدم مراعاة ذلك في أثناء النقد والتحقيق.

والإلمام بسيرة صاحب النص له دور كبير في معالجة ما قد يرِد عنه من أخطاء؛ حيث يتيح ذلك للناقد استنباط مصدر الخطإ وسببه؛ فأحيانًا يكون سبب الخطأ تصرف الرواة أو سهو النُّسّاخ أو ما أشبه ذلك، ثم يُنسَب ظلمًا إلى صاحب النص. وحين يكون الخطأ من صاحب النص نفسه فإن الإلمام بسيرته والوقوف على درجة فصاحته وجودة إبداعه يساعد في كشف سبب ذلك الخطإ؛ إنْ كان الجهل أو السهو، ولا سيما إذا كان من المحْدثين، فربما وقع في خطإٍ صادف وجهًا من أوجه الصواب؛ بمعنى أن يقع في لحنٍ أو كسرٍ عروضيٍّ وهو لا يعلم أن ذلك اللحن أو الكسر له وجه صحيح.

وقد كان العرب يميزون الكلام ويردون كل لفظة إلى معناها ويعزون القول إلى قائله ليستنبطوا الحكم بصحة نسبته أو عدمها ويعرفوا ما لحق به من خطإٍ في النقل ونحوه، ومن ذلك ما جاء في "جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام" لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) من: "أن أعرابيًّا سمع رجلاً قد أخطأ في تلاوة آيةٍ من حفظه، حيث قال الرجل: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم)، فقال له الأعرابي: ما هذا بكلام الله!! فرجع القارئ إلى حفظه فقال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال الأعرابي: صدقتَ؛ عزَّ فحَكَمَ فقَطع، ولو غفر ورحم لما قطع". فهذا الأعرابي رد الكلام إلى قائله -وهو الله تعالى- فعرف أنه لا ينبغي أن يكون الله قال ذلك؛ لأنه ينافي المعنى العظيم الذي يريده الله تعالى.

ومن خلال معرفة صاحب النص يمكن الحكم بصحة نسبة القول إليه أو بطلانها، ومن ذلك هذا البيت المنسوب لطرفة بن العبد (ت٥٦٤م):

ستَصْبَحُك الغَلْباءُ تَغْلِبُ، غارةً   هنالكَ لا يُنجيك عَرَضٌ من العَرْضِ

فطرفة بكريٌّ، والبيت فيه فخرٌ بتغلب خصوم البكريين وتهديدٌ لعمرو بن هند (ت٤٥ق.هـ) بأنهم سيدركون ثأر طرفة!!.

والإلمام بموضوع النص له أثره الكبير في عملية النقد؛ حيث يمكن من خلاله استنتاج مدى إصابة الكاتب للمعنى. ومن هذا الباب ما جاء في موشح المرزباني: "وعابوا على امرئ القيس [ت٥٤٥م]:

لها ذَنَبٌ مِثلُ ذيلِ العَروسِ ... تسدُّ به فَرْجَها مِن دُبُرْ

وقالوا: ذيل العروس مجرور، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلاً مجرورًا ولا قصيرًا. قالوا: والصواب قوله:

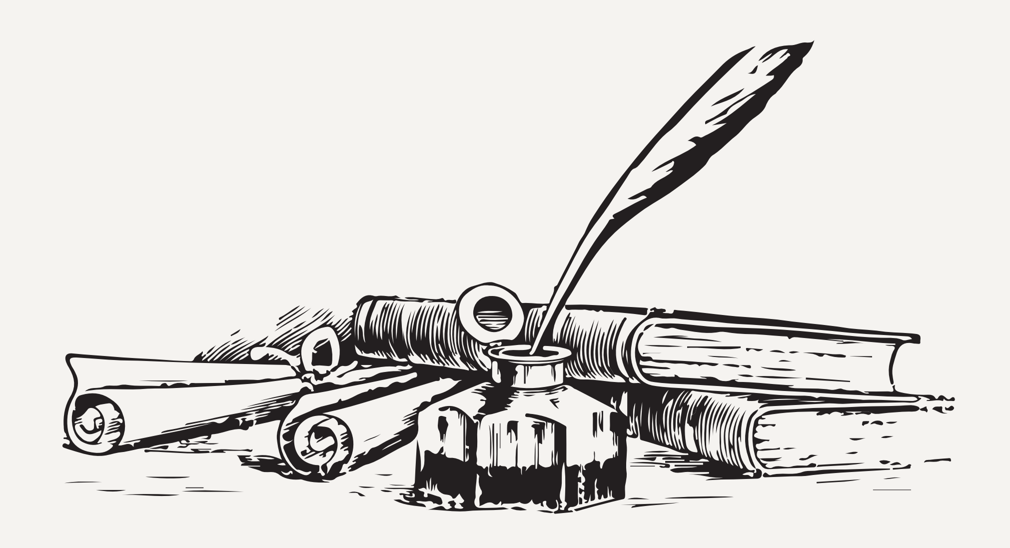
ضليعٍ إذا استدبرتَه سَدَّ فَرْجَه ... بِضافٍ فُويقَ الأرضِ ليس بأعزَلِ"

ومعنى الضليع: تام الخلْق، وضاف: كثير، والأعزل: الذي يعزل ذنَبَه في شقٍّ، كما في اللسان. فإنما حكموا بذلك لمعرفتهم بالموصوف -وهو الفرَس- فعرفوا ما يَحسُن وصفُه به وما يقبح.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في موشح المرزباني: "مرَّ المسيِّب بن علس [توفي قبل الإسلام] بمجلس بني قيس بن ثعلبة، فأنشدهم، فلما بلغ قوله:

وقَدْ أتناسَى الهمَّ عند ادِّكارِه ... بِناجٍ عليه الصَّيعريَّةُ مُكْدِمِ

[ومعنى مكدم: من الكدْم؛ وهو تمشمش العظم وتعرُّقه، وقيل: هو العض. كما في اللسان] قال طرفة ابن العبد وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل!! فقال المسيِّب: يا غلام؛ اذهب إلى أمك بمؤيِدة؛ أي: داهية". والصَّيعريَّة كما في اللسان: "سمة في عنق الناقة دون البعير"، وإن معرفة طرفة بذلك هي التي جعلته ينقد قول المسيِّب.



تعليم العربية للناطقين بغيرها: واقع تجربة

ديمة عابد*

تتفاوت الشعوب والبلدان حول العالم في العناية باللغة العربية والاهتمام بتعليمها لأبنائها؛ كلٌّ حسب ثقافته وفكره وهويته، فضلاً عن دور المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ولا ريب أن السبب الرئيس الذي يتوج العربية ويميزها عن غيرها هو ارتباطها ارتباطًا وثيقًا بالدين الإسلامي الحنيف؛ فلها شأن عظيم لدى الشعوب المسلمة على اختلاف أصولها وأجناسها، باعتبارها لغة القرآن الكريم؛ قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وأهدِف في مقالي هذا إلى إسقاط الضوء على الواقع التعليمي الذي خبرتُه في أثناء تدريسي اللغةَ العربية في كلٍّ من: الإمارات (٢٠١٣- ٢٠١٥م) وماليزيا (٢٠١٦- ٢٠١٨م): كانت أولى بداياتي معلمةً للّغة العربية للناطقين بغيرها في دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي مدرسة البحث العلمي الرائدة، في دبي تحديدًا؛ حيث بدأتُ العمل هناك معلمةً للثقافة الإسلامية باللغة الإنجليزية. ولشغفي بالعربية ارتأتْ إدارة المؤسسة التي أعمل فيها أن تُوكل إليّ مهمة تدريس العربية للناطقين بغيرها؛ فأهلَتْني وعددًا من الزملاء لتلك المهمة رافدةً إيانا بمجموعةٍ من الدورات التدريبية والمؤتمرات ذات الصلة.. ثم بدأتُ أشق الطريق الذي أحببت؛ إذ لامس تعليمُ العربية شغاف قلبي، كم تَشعرُ بالفخر حين تُدرِّس لغة القرآن الكريم فتُتقِنه على يديك ألسنةٌ لم تتذوق حلاوته من قبل!

كانتْ تجربةً ثرية تبعتْها أخرى في ماليزيا حيث

* بكالوريوس في اللغة الإنكليزية؛ معلمة اللغة العربية للناطقين بغيرها سابقًا

كانت البيئة خصبة للاستمرار في تلك الرسالة السامية؛ فأهلُها مسلمون يقدسون العربية ويولونها اهتمامًا عظيمًا، فيَحفلون بكل مَن أتقنها مقدِّرين جهود معلميهم بإجلالٍ وإكبار، وهو ما يدفعك لتحُثّ الخطى بغبطةٍ ويقين. وفي أكبر مسجدٍ في ماليزيا يُعدّ ثاني أكبر مسجد في جنوب شرق آسيا -مسجد السلطان عبد العزيز شاه- في شاه عالم في ولاية سلانجور الماليزية؛ شرُفتُ بتعليم العربية تحت قبابه الفيروزية وأعمدته الزرقاء الخلابة.

كانت تجربةً مكتنزةً تعلمتُ فيها الكثير عن ذلك البلد وأهله وثقافتهم وحضارتهم، تجربةً أحيتْ بداخلي مشاعر الفخر بلغتنا الأم وعروبتنا الأصيلة.

وهناك كنا نُقسم الطالبات في مجموعات؛ كل حسب درجة إتقانها للّغة وعلوم القرآن الكريم، ويتم ذلك باختبارٍ قصيرٍ تؤديه الطالبات في بدايةِ كل فصلٍ دراسي لتحديد مستوياتهن المتباينة بطبيعة الحال؛ وقد صُمم الاختبار لكي يقيس مهارات اللغة الأساسية الأربع التي تسمح للفرد فهمَ وإنتاجَ لغةٍ منطوقةٍ سليمةٍ لتواصلٍ فاعل، فهو يرتكز على القراءة والكتابة والاستماع والتحدث. وقد كان لكل مستوًى من المستويات منهاجٌ خاص، وترتقي الطالبات من مستوًى إلى آخر حسب تطور مهاراتهن اللغوية. وكان لزامًا على المعلمة أن تُعدَّ خطةً تعليميةً خاصةً لكل طالبة على حدة، لكون هذا المضمار مضمارَ تمايزٍ تتباين فيه المستوياتُ تباينًا ملموسًا، وتلتزم المعلمة برصد تقدم الطالبات



دوريًّا تبعًا لكل خطةٍ من الخطط المُعَدّة.

وكان على الطالبة أن ترتقي في سلم المستويات، حيث تكون مع انتهاء الفصل الدراسي قد رفعت من مستواها اللغوي بقفزاتٍ متعددة؛ وذلك حسب جِدّها واجتهادها. وهكذا فإنّ تخرّج الطالبة لم يكن مقرونًا بعددٍ ثابت من الفصول، بل بقدرتها على إنهاء المستويات جميعها مجتازةً كلَّ مستوًى باختباراته وأنشطته.

وكما جاء في بحثٍ للدكتور محمد طلبة سعيد، مِن معهد عالم الملايو والحضارة الملايويّة من الجامعة الوطنية الماليزية؛ فإن بعض الكلمات العربية، خاصةً المتعلقة بالدين الإسلامي، قد دخلتِ اللغة الملايوية وأصبحت جزءًا منها؛ مثل: حلال، وحرام، وعلم، وعمل، وعقل، وحكم، وغيرها الكثير. وقد أُجْرِيَتِ الأبحاث عن عدد الكلمات العربية الداخلة إلى اللغة الملايوية فكانت النتيجة أن عددها يقع ما بين (١٧٠٠) و(٢٠٠٠) كلمة كما جاء في كتابٍ للدكتور عبد الجبار بك بعنوان

"الكلمات العربية المستعارة في اللغة الملايوية".

وقد جَمَعَ الدكتور محمد زكي عبد الرحمن في أطروحته للدكتوراه، وهي بعنوان "أثر اللغة العربية في اللغة الماليزية من الناحية الدلالية"، الألفاظَ العربية من المعاجم الماليزية، وقسمها إلى مجموعتين: الأولى الألفاظ العربية الدخيلة التي حافظت على معانيها، وكان عددها (١٠٠٥) كلمات، والثانية الألفاظ العربية الأصل التي تغيرت مدلولاتها في اللغة الملايوية، وعددها (٧٤) كلمة.

وأُورِدُ هنا بعض التحديات التي تواجه مدرِّسي العربية هناك، وقد لمستُ شيئًا منها:

أولاً- نطقُ الأصوات العربية: إذ وجدتُ أن الطالبات يواجهْنَ صعوبةً بالغةً في نطق أصواتٍ محددة، خاصةً إذا ارتبطت تلك الأصوات بغيرها؛ فوجدتُ -مثلاً- أن كثيراتٍ منهن يقلبْنَ الـ(ص) والـ(ش) سينًا، كما أنهنّ يلفظن الـ(ظ) زايًا. وبعضُهن يلفظن الـ(ع) كالهمزة تمامًا، وهذا يرجع إلى تأثر الطالبات بلغتهن الأم. وقد جاء هذا الأمر مفصَّلاً في كتاب "الخصائص اللغوية للّغتين العربية والملايوية؛ دراسة مقارنة" لمحمد الحاج عبدالله، في مؤتمر الإسلام في سلانجور، الذي أَبرَزَ أن مشكلات النظام الصوتي من أبرز التحديات التي تواجه تدريس العربية في ماليزيا، لأن نظام اللغة العربية وطبيعتها يختلفان عنهما في اللغة الملايوية اختلافًا كبيرًا.

ثانيًا- اختيار المناهج وبناء الخطط الدراسية: وفي هذا الصدد ينبغي أن تكون ثمةَ هيئةٌ مسؤولة ومختصة في إعداد المناهج واختيار الأمثل منها وإرشاد المعلم إلى طريقة بناء الخطط ومراجعتها، فلا يكون هذا جهدًا فرديًّا يرتكز على قدرةِ وكفاءةِ المعلم، بل يكون أسلوبًا ممنهجًا ومدروسًا من قِبَل هيئاتٍ مختصة. وقد أكد الدكتور محمد طلبة سعيد في بحثٍ له في الجامعة الوطنية الماليزية أن ندرةَ المناهج المقررة لتعليم العربية وعلوم اللغة والبحوث التربوية أحدُ أهم معوقات تعليم العربية كلغةٍ ثانية. وأفاد في بحثه ذاك أن المؤسسات التعليمية الماليزية قد بذلت جهودًا كبيرة في إعداد الكتب المدرسية لتعليم العربية التي تتناسب وظروف المجتمع الماليزي وتلائم وضع اللغة العربية باعتبارها لغةً أجنبية هناك. وعلى الرغم من تلك الجهود المبذولة ما زالت الكتبُ والمناهج محلَّ نقاشٍ وبحثٍ وتقييمٍ وتقويمٍ لتدارُكِ ما فيها من قصور.

ثالثًا- واقع العربية عند العرب أنفسهم: وهو واقعٌ مؤسفٌ من وجهة نظري؛ وذلك أن متعلم العربية لغةً ثانيةً يصطدم بواقع اللغة المستخدمة من العرب أنفسهم حالَ مخالطته لهم فيجدهم يتكلمون العامية ويَعمدون إليها في الكتابة ووسائل التواصل الإلكترونية، وقد غزتِ العاميةُ الصحفَ والمجلات والمؤسسات التعليمية أيضًا! ولا شك أن هذا الواقع يصدم دارسي العربية من غير أبنائها، ويعوق إتقانهم لها ويؤدي إلى قدرٍ كبير من الحيرة والتردد. فلا بد من عملِ شيءٍ مُجْدٍ في هذا الشأن حتى يحقق تدريسُ العربية لأبنائها ولغير أبنائها نتائجَ مُرْضيةٍ.



اللغة والمخطوطات العربية في جامعة كيمبردج في القرن السابع عشر

عيد الدحيات*

قامت جامعة كيمبردج بتكريم أبراهام ويلوك Abraham Weelocke لتعليمه اللغةَ العربية وتعلمها في الوقت ذاته. ولأنه أشهر مستشرق في كيمبردج في القرن السابع عشر اختير زميلاً fellow في كلية كلير في هذه الجامعة عام ١٦١٦م، وأصبح أمينَ مكتبة الجامعة وأمين السر فيها عام ١٦٥٤م.

استطاع سنة ١٦٣١م أن يُقنع تاجر أجواخ (أنسجة صوفية) من مدينة لندن يدعى توماس آدمز Thomas Adams بأن يتحمل تكاليف تأسيس دراسات عربية في الجامعة، وذلك بتأمين مبلغ أربعين جنيهًا كل عام لمدة ثلاث سنوات من سنة ١٦٣٢م. وتم تأسيس منصب أستاذ كرسي في الجامعة لهذه الغاية، وعُيِّن ويلوك أول أستاذ محاضر للغة العربية فيها.

وقد كتب آدمز إلى ويلوك بهذه المناسبة قائلاً: «أدعو لك بالتوفيق في تنفيذ مهام هذه الوظيفة، وأرجو أن تنال التكريم الذي تستحق في كيمبردج، والشهرة في بريطانيا». وتحولت منحة التأسيس إلى موازنة دائمة في العام ١٦٣٦م. وقد وجّه نائبُ الرئيس وعمداءُ الكليات في الجامعة رسالةَ الشكر التالية إلى آدمز (٩ أيار ١٦٣٦م) التي تُبين بوضوحٍ أهداف تأسيس كرسي اللغة العربية هذا:

كان ويلوك مستعربًا ضليعًا، وتوجد في الرسائل الموجهة إليه من آدمز إشارات إلى مطبعته العربية رغم أنه لم ينشر أي شيء قليل أو كثير في هذه المطبعة؛ وقد يكون السبب الحاجة إلى الحروف العربية والعاملين القادرين على تركيبها.

* أستاذ الأدب الإنجليزي؛ عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

سيدي الفاضل،

بعد مرور هذه السنوات الأربع على عملك السخي الجاد لإنشاء أستاذية اللغة العربية في جامعتنا، وإدراكًا منا لرغبتك الكريمة، الآن أيضًا، في الحفاظ عليها على الدوام، لا يسعنا إلا أن نتقدم إليك بوافر شكرنا وتكريمنا لخدمتكم العلمية التي كان لكم فيها دور المحسن النبيل. وإننا لنعلن استعدادنا لخدمتكم بأفضل ما لدينا من رأي وجهد لتحسين هذه الدراسة وتوجيهها نحو الغايات الطيبة التي تريدها.

إننا ننظر إلى هذا العمل ليس باعتباره تقدمًا للأدب الجيد الذي توفره للمثقفين وحسب، بل باعتباره خدمة حسنة للملك والدولة، في تجارتنا مع تلك الأمم الشرقية، وعلى المدى البعيد، بمشيئة الرب، فرصة لتوسيع حدود الكنيسة، والإعلان عن الدين المسيحي والدعوة إليه لدى أولئك الذين يعيشون في الظلام.

إن السيد الذي اخترته لرعاية منصب الأستاذية، السيد أبراهام ويلوك، ليحظى بموافقتنا، لقدراته وجهوده المخلصة ومثابرته في أداء هذه المهمة.

نسأل الرب أن يقدر لهذا العمل التوفيق حسب نواياكم الطيبة، وأن يجزيكم وأهلكم عنه خير الجزاء، وأن يجعل ذكراكم كذكرى جميع المصلحين المحسنين من شعبنا باقيةً عزيزة بيننا.

مع أفضل تحياتنا القلبية ودعائنا لك.

أصدقاؤك المحبون

وعلى الرغم من ذلك استطاع ويلوك أن يقوم بدور أساسي في رسم الخطة لِمُؤَلِّف برين والتون Brian Walton المسمى polyglot Bible أي (الكتاب المقدس منشورًا بعدة لغات) عام ١٦٥٤م، فقد عُهد إليه بتصحيح النصوص في نسختيه العربية والفارسية، ولم يتوقف عن العمل فيه إلا عند وفاته.

وقد كان ويلوك أيضًا أمين مكتبة قديرًا، عُرف بجهوده التي جعلت جامعة كيمبردج أحد أهم مراكز الكتب في إنجلترا. هذا، وقد أشاد هنري برادشو Henry Bradshow أحد أمناء جامعة كيمبردج لمدة ثماني عشرة سنة بجهود ويلوك وامتدحه كثيرًا. والحق أنه كانت هناك مخطوطات عربية في مكتبة كيمبردج. وقد أنشئت المجموعة الشرقية لتلك الجامعة على أساس مكتبة الباحث الهولندي الشهير إيربينيوس Erpenius؛ فقد جلب دوق بكينقهام Duke of Buckingham بوصفه رئيسًا لجامعة كيمبردج مكتبة ايربينيوس



من لايدن خلال زيارة له إلى مدينة لاهاي في العام ١٦٢٥م. وقد اغتيل بكنقهام في عام ١٦٢٦م، فقدمت أرملتُه تلكَ المجموعةَ (وهي خمس وثمانون مخطوطة) إلى جامعة كيمبردج في العام ١٦٣٢م.

أما المجموعة المهمة الثانية، بما فيها عشرون مخطوطة حصل عليها نيكولاس هوبارت NicholasHobart في القسطنطينية، فقد قُدمت للجامعة عام ١٦٥٥م بتوجيه من وليم بيدول William Bedwell إلى ويلوك باعتباره أمين مكتبة الجامعة، ووعده بأنه سوف يرسل له أيضًا نسخة من القرآن الكريم في قادم الأيام.

وهنالك رسالتان يرجع تاريخهما إلى الثاني عشر من تموز والحادي والثلاثين من آب من العام ١٦٣٢م، على التوالي، موجهتان من جون كلارك John Clerke صهرِ بدويل وأحد المستعربين المعروفين، تشيران إلى إهداء بدويل قاموسَه العربي للجامعة. ويبين ثبّت المخطوطات المحفوظة في مكتبة جامعة كيمبردج:

A Catalogue of the Manuscripts Preserved in the University of Cambridge vol.l، 1979، p.71

أنّ جون كلارك كان قد كتب رسالتين: كُتبت الأولى إلى صديق، وقد يكون ويلوك نفسه. وعُنونت الثانية إلى السيد أولراي M.Olrye الذي كان زميلاً في كلية كلير في الجامعة. ويستوضح في كلتا الرسالتين فيما إذا كانت الكلية سوف تطبع القاموس العربي الذي قدمه والده، وإلا فهو يعرض تقديم نسخة مطبوعة. ويذكر كذلك أن السير وليم ديجباي Sir William Digbye يود تقديم خمسمئة جنيه لدعم طبع هذا الكتاب وشراء حروف الطباعة العربية اللازمة لذلك.

ثنائية اللغة عند الأطفال:
لماذا تُعَدُّ قضيةً مهمةً في التعليم؟

- كَتَبَها: جيم كمنز (Jim Cummins).
-تَرْجَمَتْها: مَجْد السريحين*

وأنا أطالع مقالَ
(Bilingual Children›s Mother Tongue: Why is it important for education?)
المنشور في مجلة (Sprogforum (Journal), 7(19), 15-20, 2001) للأستاذ جيم كمنز (Jim Cummins) الأستاذ في معهد أونتاريو للدراسات التربوية في جامعة تورنتو الكندية، خَطَرَ لي أن أترجمه إلى اللغة العربية، لأن ما جاء فيه ينطبق على واقع كثير من المدارس العالمية في البلدان العربية، فضلًا عن صلته بأبناء المهَجَّرين العرب في الدول الأجنبية، كما أن قضيته المعالَجة قضيةٌ حساسة، فَكمنز لا ينادي بحفظ اللغات من الاستلاب الحضاري فقط، بل ينادي أيضًا بحقوق الطفل وشخصيته. وقد استأذنتُه بالترجمة والنشر فأذن لي مشكورًا. وهذا نصُّ الترجمة:

لا يغيب مصطلح «العولمة» عن الصفحات الأولى في الصحف الإخبارية هذه الأيام؛ ويثير هذا المصطلح المشاعر الإيجابية تارةً والسلبية تارةً أخرى؛ المشاعرَ الإيجابية إذا ما أشادت به فئة رجال الأعمال، لأنه فتح الأسواق العالمية أمام تجارةٍ أوسع؛ والمشاعرَ السلبية إذا ما أدانه أولئك الذين يربطونه باتساع الهوّة المتسارع بين الدول والشعوب الغنية والدول والشعوب الفقيرة. وتشكل زيادة الانتقال من دولةٍ إلى دولة أحد جوانب العولمة التي لها تأثيراتٌ مهمة على المعلمين وسائر العاملين في سلك التعليم. ولهذه الزيادة أسبابٌ عدة، منها بحثُ المنتقل عن حالةٍ اقتصادية أفضل، أو حاجة

* طالبة الطّبّ البشري- الجامعة الهاشمية.

الـدول الـتـي تـعـانـي مـن قلة نـسـبـة المواليـد إلـى العمالة، أو التدفق المستمر للاجئين نتيجةً الصراعات وألـــوان الاضـطـهـاد الطـائـفـي أو الكوارث البيئية. كما أن التكامل الاقـتـصـادي في الاتـحـاد الأوربـي يشجع حريةَ تنقل العمال وأسرهم بين دوله. والحقيقة أنّ السفر الآن أصبح سهلًا غالبًا، وهو ما سهّل انتقال السكان.



ونتيجةً لهذا الانتقال، كان التنوعُ اللغوي والثقافي والعرقي والديني داخل المدارس. مثلًا: يأتي ٥٨ بالمئة من تلاميذ رياض الأطفال في مدينة تورنتو الكندية من بيوتٍ لا تكون فيها اللغة الإنكليزية الفصيحة لغةَ التواصل الاعتيادية. ومع أن مدارس أوروبا وأمريكا الشمالية شهدت هذا التنوع لسنواتٍ طويلة؛ ما يـزال هـذا الأمـر قضيةً خلافيّةً تثير الجدل. وتختلف السياسات والممارسات التعليمية إزاء هذه القضية اختلافًا واسعًا بين الدول بل حتى داخل الـدولـة الـواحـدة. وتـروّج بعض الجماعات الفاشية المتطرفة في عدد من الدول التي يوجد فيها نسبة من الأطفال ثنائيي اللغة لسياسات عنصرية صريحة ضد المهاجرين والمجتمعاتٍ المختلفة ثقافيًّا؛ بينما تتبنى مجموعاتٌ سياسية أخرى أفكارًا مستنيرةً إلى حدٍّ ما، وتبحث عن طرقٍ «لحلّ مشكلة» المجتمعات المختلفة وتـحـاول دمجها في المدارس والمجتمع. ولكنّهم ما يزالون يَعُدون وجود مجتمعاتٍ مختلفة «مشكلة»، ولا يكادون يستطيعون رؤية القليل من النتائج الإيجابية لوجود مجتمعاتٍ مختلفة في المُجتمع المُضيف. إنهم قلقون من أن يُهدد هذا الاختلافُ الثقافي والعرقي والديني هويةَ مجتمعهم، لذا فهم يروجون لسياسات تعليمية من شأنها أن تخفي «المشكلة». وفي حين أن الجماعات الفاشية تؤيد ترحيل المهاجرين أو على الأقل استبعادهم من التيار الرئيس للمجتمع (نظام العَزل العنصري للمدارس والأحياء، مثلًا) تدعو أكثر الجماعات تحررًا إلى دمجهم في ذلك التيار. والدمج، على أية حال، يشابه كثيرًا «الترحيل»، لأن كلا الأمرين يحاول أن يخفي «المشكلة». وبموجب كلتا السياستين، لـن تكون المجموعات المختلفة ثقافيًّا مرئيةً أو مسموعة، وسياساتُ الاستيعاب الثقافي في التعليم لن تثني الطلاب عن الحفاظ على لغتهم الأم، وسيُعتَبَرون أقلّ قدرةً على التماهي مع المجتمع واللغة السائدة إذا احتفظوا بثقافتهم وبلغتهم الأم. صحيحٌ أنّهم لا يُعاقبون جسديًّا إذا تحدثوا بلغتهم (كما كان يُفعل سابقًا في العديد

من الدول) ولكننا نرسل إليهم رسالةً مفادها أنّه إذا أردتم أن يقبلكم مجتمعكم ومعلّموكم فعليكم أن تتخلوا عن أيّ ولاءٍ للغتكم وثقافتكم. وما يزال نهج حلّ «مشكلة» الاختلاف هو السائد في الأنظمة التعليمية في معظم دول أوروبا وأمريكا الشمالية.

ولسوء الحظّ، قد يكون لهذا النهج عواقبُ وخيمةٌ على الأطفال وأسرهم. إنّه ينتهك حق الأطفال في التعلم المناسب، ويقوض سبل التواصل بينهم وبين ذويهم. سيؤيدُ أيُّ معلم جديرٍ بالثقة وجوبَ بناء المدارس على الخبرة والمعرفة التي يجلبها الأطفال إلى الصفوف الدراسية، ووجوبَ تنمية التعليم قدراتِ الأطفال ومواهبهم، أي أننا نختلف مع جوهر التعليم عندما ندمر لغة الأطفال ونقطع علاقتهم بآبائهم وأجدادهم، سواء قصدنا إلى هذا أو لم نقصد. وسيؤدي تدمير اللغة والثقافة في المدارس إلى نتائج تنعكس سلبًا على المجتمع المضيف نفسه.

وفي عصر العولمة، سيكون بإمكان المجتمع الذي يمتلك موارد متعددة اللغات والثقافات أن يؤدي دورًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا مهمًّا على المسرح العالمي. لمْ تكن هويات المجتمعاتِ وطوائفها العرقية ثابتةً قطُّ، ولعلّه من السذاجة أن نعتقد أنها يمكن أن تكون ثابتةً في حين أننا نشهد وتيرةَ التغير العالمية المتسارعة. واليوم، وفي الوقت الذي يَختبر فيه العالم أعلى مستوًى للتواصل بين الثقافات في تاريخ البشرية، ستتطور هوياتُ المجتمعات جميعِها. والتحدي الذي يواجه المعلمين وصناع القرار هو تطوير الهوية الوطنية بطريقةٍ تحترم حقوق المواطنين جميعِهم، ومنهم أطفال المدارس، مع تعظيم موارد الدولة الثقافية واللغوية والاقتصادية.

إن تبديد الموارد اللغوية من خلال منع الأطفال من تنمية لغتهم الأم أمرٌ غبي من منظور المصلحة الوطنية، فضلًا عن أنه يمثل انتهاكًا لحقوق الطفل (انظر: سكوتناب كانغاس، وفيه مراجعةٌ شاملةٌ للسياسات والممارسات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان اللغوية).

كيف يُمكن للمدارس أن تقدم تعليمًا مناسبًا لأطفالٍ مختلفين لغويًّا وثقافيًّا؟ الخطوة الأولى هي أن نعرف ماذا تقول الأبحاث عن دور اللغة، واللغةِ الأم خاصّةً، في تنمية التعلم لدى الأطفال. ما الذي نعرفه عن تطور اللغة الأم؟ البحثُ واضحٌ جدًّا من حيث تبيين أهمية اللغة الأم في تنمية الشخصية والمستوى الأكاديمي لدى الأطفال ثنائيي اللغة. ويمكن التعرف على مزيد من التفاصيل عن النتائج التي توصل لها البحث العلمي ولُخِّصت أدناه في كتاب بيكر (٢٠٠٠) وكمنز (٢٠٠٠) وسكوتناب كانغاس (٢٠٠٠).

ثنائية اللغة لها أثرٌ إيجابي على تطور الأطفال اللغوي والعلمي

عندما يواصل أطفال المرحلة الابتدائية تنمية قدراتهم بلغتين أو أكثر، سيكتسبون فهمًا أعمق للغة، وسيتعلمون كيفية استخدامها بأساليبَ أكثر فعالية، وسيملكون عدة أساليب لمعالجتها وإدراكها، خاصةً عندما يتقنون القراءة والكتابة باللغتين،

ويستطيعون أن يقارنوا ويعرفوا كيف تختلف اللغتانِ من حيث الترتيب والبناء وكيف تتشكل كلّ لغة منهما على حِدة.

أكثُر من ١٥٠ دراسة بحثية أُجريت خلال السنوات الخمس والثلاثين الماضية تدعم ما قاله جوته: «الشخص الذي يعرف لغةً واحدة فقط لا يعرف هذه اللغةَ حقًّا». وتشير الأبحاث إلى أن الأطفال ثنائيي اللغة قد يكونون أكثر مرونةً في طرق تفكيرهم نتيجة معالجة المعلومات من خلال لغتين مختلفتين.

مستوى تطور اللغة الأم للأطفال مؤشر قوي على تطور لغتهم الثانية

الأطفال الذين يأتون إلى المدرسة بأساسٍ متينٍ في لغتهم الأم يطورون قدراتهم على القراءة والكتابة بلغةِ المدرسة. وعندما يتمكن الآباء والرعاة الآخرون (مثل الأجداد) من قضاء الوقت مع أطفالهم ورواية القصص أو مناقشة المشكلات معهم بطريقة تطور مفردات ومفاهيم لغتهم الأم، يأتي الأطفال مستعدين جيدًا لتعلم لغة المدرسة ويتفوقون بها أكاديميًّا، لأن معارف الأطفال ومهاراتهم تنتقل من اللغة الأم التي تعلموها في المنزل إلى لغة المدرسة.

إن اللغتين مترابطتان من جهة نمو المفاهيم والمهارات اللغوية، أي أنه يمكن للمهارات والمعارف أن تنتقل في الاتجاهين كليهما حينما تُعَزَّز اللغة الأمُّ في المدرسة (بتعميم برنامج تعليمي ثنائي اللغة، مثلًا)، وتستطيع أن تنقل المفاهيم والمهارات اللغوية التي يتعلمها الأطفال بلغة الأغلبية إلى لغة المنزل. باختصار، ترعى اللغتان كلتاهما إحداهما الأخرى، عندما تعطى البيئة التعليمية حرية الوصول إلى كلتا اللغتين.

تعزيز اللغة الأم في المدرسة لا يساعد على تطوير قدرات الطفل بلغته الأمّ فقط، بل على تعزيز قدرات الأطفال بلغة الغالبية في المدرسة أيضًا

هذه النتيجة ليست مفاجئة في ضوء النتائج السابقة التي تفيد أن: (أ) ثنائية اللغة تمنح مزايا لغوية للأطفال، (ب) القدرات في اللغتين متداخلة أو مترابطة كثيرًا. ويقدم الأطفال ثنائيو اللغة أداءً أفضل في المدرسة التي تدرِّس اللغة الأم بفعالية (مهارات القراءة والكتابة باللغة الأم، على الأقل). وعلى النقيض من ذلك، عندما نحاول إضعاف اللغة الأم ونسعى إلى ضمورها، فإننا نهدم الأساس الشخصي والمفاهيمي للتعلم عند الأطفال.



> «الشخص الذي يعرف لغةً واحدة فقط لا يعرف هذه اللغةَ حقًّا»

إن قضاء وقت تعليمي بلغة الأقلية لا يضر بالتطور الأكاديمي عند الأطفال الذين يتحدثون بلغة الغالبية في المدرسة

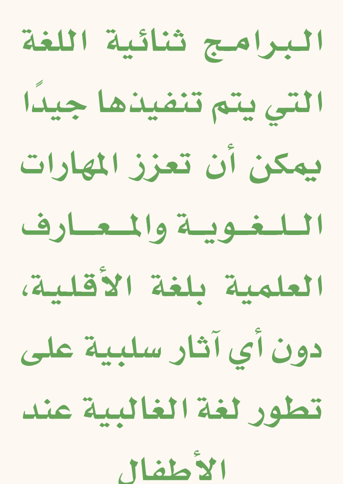
يرتاب بعض المعلمين وأولياء الأمور في برامج التعليم ثنائي اللغة أو برامج التدريس باللغة الأم،

لأنهم يقلقون من أن هذه البرامج ستأخذ وقتًا على حساب لغة الغالبية. مثلاً، في البرنامج ثنائي اللغة يتم قضاء ٥٠٪ من الوقت في التدريس بلغة الأطفال المنزلية، و٥٠٪ بلغة الغالبية، فمن المحتم أن تعلم الأطفال للُغة الأغلبية سيتأثر. وكانت إحدى أقوى النتائج التي توصلت إليها الأبحاث التربوية التي أجريت في العديد من البلدان حول العالم، أن البرامج ثنائية اللغة التي يتم تنفيذها جيدًا يمكن أن تعزز المهارات اللغوية والمعارف العلمية بلغة الأقلية، دون أي آثار سلبية على تطور لغة الغالبية عند الأطفال.

يبين برنامج (فوير) في بلجيكيا فوائد التعليم الثنائي اللغة والثلاثي اللغة، حيث يطور البرنامج قدرات الأطفال اللغوية (التحدث والكتابة والقراءة) بثلاثِ لغات (لغتهم الأم، والهولندية، والفرنسية). (انظر: جيم كمِنز، ٢٠٠٠م، ص٢١٨-٢١٩).

يمكننا أن نفهم كيف يحدث هذا من نتائج البحث الملخصة فيما تقدم، فعندما يتعلم الأطفال بلغة الأقلية، مثل لغتهم الأم، فإنهم لا يتعلمون اللغة فقط بالمعنى الضيق، بل يتعلمون المفاهيم والمهارات الفكرية التي تساوي قدرتهم على ممارسة لغة الأغلبية.

التلاميذ الذين يعرفون كيف يخبرون عن الوقت (أي: يقولون كم هي الساعة) بلغتهم الأم يدركون مفهوم «إخبار الوقت»، من أجل معرفة الوقت بلغة ثانية (لغة الأغلبية مثلًا)، فلا يحتاجون إلى إعادة تعلم مفهوم إخبار الوقت؛ بل يحتاجون ببساطة إلى اكتساب علامات جديدة أو «هياكل سطحية» لمهارة فكرية تعلموها بالفعل، وفي مراحل متقدمة. وثمة انتقالٌ للمهارات الأكاديمية واللغوية عبر اللغات، كأنْ يميز الطفل بين الفكرة الرئيسة والتفاصيل الداعمة لمقطع أو قصة مكتوبة، أو أن يحدد السبب والنتيجة، أو أن يميز الحقيقة عن الرأي، أو كيفية رسم الخرائط أو معرفة تسلسل الأحداث في قصةٍ أو حدثٍ تاريخي.



البرامج ثنائية اللغة التي يتم تنفيذها جيدًا يمكن أن تعزز المهارات اللغوية والمعارف العلمية بلغة الأقلية، دون أي آثار سلبية على تطور لغة الغالبية عند الأطفال



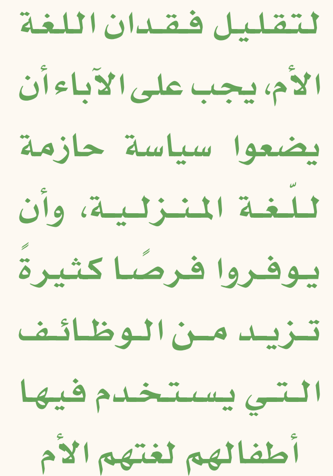
اللغة الأم عند الأطفال هشة ومن السهل فقدانها في السنوات الأولى من المدرسة

يتعجب كثير من الناس من مدى سرعة اكتساب الأطفال ثنائيي اللغة مهارات المحادثة بلغة الأغلبية في سنوات المدرسة الأولى (على الرغم من أن الأمر يستغرق وقتًا أطول لديهم للّحاق بالمتحدثين الأصليين في المهارات اللغوية الأكاديمية). ومع ذلك، لا يعي المربون غالبًا مدى السرعة التي يمكن أن يفقد بها الأطفال قدرتهم على استخدام لغتهم الأم، حتى في منازلهم ومع أسرهم! ويختلف مدى فقدان اللغة وسرعته باختلافِ تركز العائلات من مجموعة لغوية

معينة في المدرسة والحي. وتقل احتمالية ضمور اللغة الأم عند الأطفال عندما تُستخدم على نطاقٍ واسع في المجتمع خارج المدرسة، وإذا لم تكن هذه المجتمعات مركزة أو «معزولة» في أحياءٍ معينة، فقد يفقد الأطفال قدرتهم على التواصل بلغتهم الأم في غضون سنتين أو ثلاث سنواتٍ من بدء المدرسة. نعم، قد يحتفظون بمهارات الاستيعاب لكنهم سيستخدمون لغة الأغلبية في التحدث مع أقرانهم وإخوتهم والاستجابة لوالديهم، ومع مرور الوقت سيكبر الأطفال ويصبحون مراهقين، وستتحول الفجوة اللغوية بين الأبناء وآبائهم إلى فجوةٍ عاطفية، وكثيرًا ما سينفر التلاميذ من ثقافة كلتا البيئتين (المنزل والمدرسة)، مع نتائج يمكنك التنبؤ بها.

ولتقليل فقدان اللغة الأم، يجب على الآباء أن يضعوا سياسة حازمة للّغة المنزلية، وأن يوفروا فرصًا كثيرةً تزيد من الوظائف التي يستخدم فيها أطفالهم لغتهم الأم (قراءةً وكتابــــة)، وأن يخلقـــــــــوا الظروف التي يمكن لأطفالهم فيها ممارسة لغتهم الأم، مثل الرعاية المجتمعية النهارية باللغة الأم، ومجموعات اللعب، وزيارة مسقط الرأس، وهلمّ جرًّا. ويمكن للمدرسين أيضًا مساعدة الأطفال في الاحتفاظ بلغاتهم الأم وتطويرها من خلال إيصال رسائل إيجابية قوية إليهم حول قيمة معرفة لغات إضافية. وإن ثنائية اللغة إنجازٌ لغوي وفكري مهم حقًّا، ويمكنهم البدء على سبيل المثال بمشاريع صفية تركز على تنمية وعي الأطفال باللغة، كالاحتفاء بتعدد لغات الطلاب في الفصل مثلًا، وبتشارك اللغات في الصف، كأنْ يجلبَ طفلٌ كلمةً جديدة من لغة المنزل كلَّ يوم، ويتعلّمَها الجميع بما في ذلك المعلم ويتناقشوا فيها.







رفضُ لغة الطفل في المدرسة هو رفضُ الطفل

عندما تكون الرسالة الضمنية أو الصريحة الموجهة للأطفال في المدرسة هي «اترك لغتك وثقافتك عند باب المدرسة» سيترك الأطفال أيضًا جزءًا أساسيًّا من شخصياتهم وهوياتهم عند الباب ما بين المنزل والمدرسة. وعندما يشعرون بهذا الرفض، يقل احتمال مشاركتهم بنشاطٍ وثقة في الفصل الدراسي. لا يكفي أن يقبل المعلمون بشكل سلبي التنوع اللغوي والثقافي للأطفال في المدرسة، بل يجب أن يكونوا فاعلين وأن يأخذوا زمام المبادرة لتأكيد الهوية اللغوية للأطفال من خلال وضع ملصقات بلغات المجتمع المختلفة حول المدرسة، ومن خلال تشجيع الأطفال على الكتابة بلغاتهم الأم، إضافةً إلى لغة الأغلبية، ونشر الكتابات التي يؤلفها التلاميذ، وأن يخلقوا عمومًا مناخًا تعليميًّا يتم فيه قبول التجربة اللغوية والثقافية للطفل ودعمها.

تشكيل هوية فعالة للمستقبل

عندما يطور المعلمون داخل المدرسة سياساتٍ لغوية وينظمون مناهجهم وتعليماتهم بطريقة تدعم بقوة رأسَ المال اللغوي والثقافي للأطفال والمجتمعات في الأنشطة المدرسية جميعِها، فإن المدرسة سترفض المواقف السلبية أو الجهل إزاء التنوع الموجود في المجتمع الأوسع. وعندما تتحدى المدرسة علاقات القوة القسرية فإنها تعطي مثلًا يحتذى للأطفال ثنائيي اللغة عن هويتهم وعن كيف يمكن أن يكونوا ضمن هذا المجتمع. فللأطفال متعددي اللغات مساهمة هائلة في مجتمعاتهم وفي المجتمع الدولي، ولا يكون ذلك إلا إذا قمنا، كمربين، بتطبيق ما نعتقد أنه صحيح لجميع الأطفال: خبرةُ الأطفال الثقافية واللغوية في المنزل هي أساس تعلمهم في المستقبل، ويجب أن نبني على هذا الأساس بدلاً من تقويضه. ولكل طفل الحقُّ في التعرف على مواهبه وتعزيزها داخل المدرسة.

باختصار، سوف يزداد رأس المال الثقافي واللغوي والفكري لمجتمعاتنا كثيرًا عندما نتوقف عن رؤية الأطفال المتنوعين ثقافيًّا ولغويًّا على أنهم «مشكلة يجب حلها»، وعندما نفتح أعيننا على الموارد اللغوية والثقافية والفكرية التي يجلبونها من منازلهم لمدارسنا ومجتمعاتنا.



المراجع:

1- Baker, C. (2000). A parents' and teachers' guide to bilingualism. 2nd Edition. Clevedon, England: Multilingual Matters.

2- Cummins, J. (2000). Language, power, and pedagogy. Bilingual children in the crossfire. Clevedon, England: Multilingual Matters.

3- Skutnabb-Kangas, T. (2000). Linguistic genocide in education-or worldwide diversity and human rights? Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.



زاوية

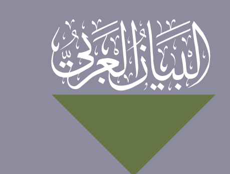
اللغة العربيّة لغة علميّة

نصوص مُختارة من تُراثنا العلميّ القديم والحديث:
الحسن بن الهيثم
(٣٥٤-٤٣٠هـ/٩٦٥-١٠٤٠م):
عالِمٌ لكلّ العصور
عن كتاب المناظر

هُمام غَصيب

ملاحظاتٌ على «تعريب» المُصطلحات العلميّة

يَعْرُب الدُّوري



نصوص مُختارة من تُراثنا العلميّ القديم والحديث

الحسن بن الهيثم

(٣٥٤-٤٣٠هـ/٩٦٥-١٠٤٠م):

عالِمٌ لكلّ العصور [١]

عن "كتاب المناظر" [٢]

هُمام غَصيب*

الوقائع والحقائق في حياة عالِمنا العظيم، ابن الهيثم، معروفة عمومًا. [المصدران الرئيسيّان هما: تاريخ الحكماء لابن القفطي (ت٦٤٨هـ/١٢٤٨م) وعيون الأنباء في طبقات الأطبّاء لابن أبي أصيْبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م). فهو أبو علي، الحسن بن الحسن بن الهيثم؛ من مواليد البصرة. تنقّل بيْن الحواضر الإسلاميّة الكبرى؛ بما فيها بغداد، ودمشق، والقاهرة. وهو الفيزيائيّ الأعظم في حضارتنا العربيّة الإسلاميّة؛ كما كان رياضيّاتيًّا وفلكيًّا كبيرًا. لكنْ، لم يصل إلى أيدينا من نِتاجه الغزير سوى خمسين عملاً، أو أكثر بقليل؛ أهمّها كتاب المناظر، وهو كتابٌ ضخم يقع في سبْع «مقالات» (والمقالة في تُراثنا قد تَعني جُزءًا كاملاً، كما هو الحالُ هنا؛ أو بضعَ صفَحات في موْضوع مُعيّن). ومنها أيضًا: تصويبات على المجسطي، وتحليل المسائل الهندسيّة، وأعمدة المُثلّثات، والجامع في أصول الحساب.

(١) إهداء إلى ذكرى فقيدنا الدكتور عبد القادر عابد، رحمه الله.

(٢) الحسن بن الهيثم، كتاب المناظر (المقالات ١-٢-٣: في الإبصار على الاستقامة)؛ حقّقها وراجعها على الترجمة اللاتينيّة: عبد الحميد صَبْره، الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٣م.

* أستاذ الفيزياء النظريّة؛ عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

وفيما يأتي بعضٌ من أهمّ إنجازاته:

١- حسَمَ قضيّة «كيفيّة الرؤية»: بأنّ الضوْءَ ينطلق من الأشياء (المُبصَرات) صوْبَ العيْنيْن؛ وليس العكس (حسب «النظريّة القديمة»).

٢- شـرَحَ أجـزاء العـيْن، ووظائفها، بالتفصيل؛ ووضعَ أسماءها المعروفة.

٣- وضَـع قـانونَي الانكسـار (أو «الانـعـطـاف»، بتعبيره)، بعد أنْ أجرى تجاربَ مُتعدّدة على مـرور الضوْء خـلالَ مـوادَّ شتّى [لكن، انظر «التعليق» أدناه].

٤- أجرى أوّل تجربة عن تشتّت الضوْء إلى ألوان الطيْف الأساسيّة.

٥- درس باستفاضة مُذهلة خيالات الأشياء التي تكوّنها أنواعٌ مختلِفة من المرايا.

٦- كذلك، درس العدسات، واكتشف قدرة العدسة المُحدّبة على تكبير الأشياء؛ الأمر الذي أدّى في حقبة لاحقة إلى صناعة النظّارة الطبّيّة.

٧- كما كانت «غرفته المُظلمة» (أو «القُمرة») أوّل «كامرا» في التاريخ. وقِسْ على ذلك. فهو حقًّا أتى بما لم يأتِ به الأوائل!

لقد حاولتُ على أمدِ بضعة عقود أنْ أقرأ ما بيْن السطور وما تحتها ووراءها في حياته الطويلة العريضة العميقة. فتوصّلت إلى ما يأتي:

١- لعلّه كان مُبدعَ أوّل منظومة (أو «توْليفة جامعة» Synthesis) "مُعاصرة" في تاريخ العلم؛ وتبعه بعد ذلك بقرون نيوتن، فماكسويل، فآينشتايْن.

٢- أضف إلى ذلك ميْله الواضح نحو توْحيد المبادئ والمفاهيم في مجالات الفيزياء المُختلفة.

٣- ثمّ إنّه كان رائدًا من روّاد النثر العلميّ العربيّ؛ ليس فقط من حيث المُصطلحات، وإنّما أيضًا —وهذا هو الأهمّ— في السبْك.

٤- وتأثيره في أقرانه وتلامذته كان لا يُجارى؛ وحسبنا في ذلك ذاك الرتَل من الأقطاب، كنصير الدين الطوسيّ وقطب الدين الشيرازيّ وكمال الدين الفارسيّ، وصولاً إلى ابن الشاطر؛ دعْكَ من الأساطين الأجانب، مثل ليوناردو دافنشي ونيوتن نفسه.

٥- كذلك، لا ننسى ريادته في المنهجيّات (ولا أقول المنهجيّة) العلميّة.

٦- وأخيرًا، وليس آخرًا، سعيه الدؤوب إلى "إيثار الحقّ وطلب العلم" بهذا الترتيب؛ أي أنّه كان يضع الأخلاق والأخلاقيّات قبل العلم، على أهمّيّة العلم.

ألمْ يكنْ، إذن، عالمًا لكلّ العصور؟

النصّ: [مُقتطفات من] الفصل الثاني في البحث عن خواصّ البصر

(ص٦٣-٧١)

[١] نجد البصرَ ليس يُدرِك شيئًا من المُبصَرات إلّا إذا كان بيْنه وبيْنها بُعدٌ ما. فإنّ المُبصَرَ إذا كان مُلتصِقًا بسطح البصر، فليس يُدركه البصر، وإنْ كان من المُبصَرات التي يصحّ أنْ يُدركَها البصر.

[٢] ونجد البصرَ ليس يُدرك شيئًا من المُبصَرات التي تكون معه في هواء واحد، ويكون إدراكه لها لا بالانعكاس؛ إلّا إذا كان مُقابلاً للبصر، وكان بيْن كلّ نقطة من سطحه الذي يُدركه البصر وبيْن سطح البصر خطٌّ مستقيم مُتوهّم أو خطوط مُستقيمة مُتوهّمة، ولم يتوسّط بيْن سطح البصر

وبيْن المُبصرِ جسمٌ كثيفٌ يقطع جميع الخطوط المُستقيمة التي تُتوهّم بيْن سطح البصر وبيْن سطح المُبصَر الذي يُدركه البصر.

....

[١١] ونجد البصر ليس يُدرك شيئًا من المُبصَرات إلّا إذا كان حجمه مُقتدرًا -وأريد بالحجم مساحة المُبصَر، جسمًا كان أو سطحًا أو خطًّا- وليس يُدرك من المُبصَرات ما كان في غاية الصغر. ويُوجد من الأجسام الصغار بالاستدلال ما لا يُدركه البصر بوجهٍ من الوجوه. فإنّ إنسان عيْن البعوض وما جرى مجراه في الصغر ليس يُدركه البصر بوجهٍ من الوجوه؛ وهو مع ذلك جسمٌ موجود. وأصغر المقادير التي يُمكن أنْ يُدركها البصر تكون بحسب قوّة البصر أيضًا وضعفه، فإنّ من الأجسام الصغار ما يُدركها بعض الناس ويحسّ بها وتَخفى عن أبصارِ كثيرٍ من الناس ولا يُدركونها بوجهٍ من الوجوه إنْ كانت أبصارُهم ليست في غاية القوّة. وإذا اعتُبِرت جميع المُبصَرات وأصغر الصغير من المُبصرات، وجدت ليستْ في غاية الصغر، بل يُوجد كلّ مُبصَرٍ وإنْ كان في غاية الصغر؛ فقد يُمكن أنْ يكونَ في الأجسام الموجودة ما هو أصغرُ منه ولا يحسّ به البصر. فدلّ ذلك على أنّ البصر ليس يُدرك شيئًا من المُبصَرات إلّا إذا كان حجمه مقتدرًا أو كان في مُبصَرٍ مُقتدر الحجم، كاللوْن والشكل وما أشبه ذلك. فإنّ أصغرَ المقادير التي يُدركها البصر يكون بحسب قوّة ذلك البصر.

[١٢] وأيضًا، فإنّا نجد البصر ليس يُدرك شيئًا من المُبصَرات إلّا إذا كان كثيفًا، أو كان فيه بعضُ الكثافة. فإنّ الجسمَ إذا كان في غاية الشفيف -كالهواء اللطيف- فليس يُدركه البصر، ويُدرك ما وراءه. فليس يحسّ البصر بالجسم المُشفّ إلّا إذا كان أغلظَ من الهواء المُتوسّط بيْنه وبيْن البصر. وكلّ جسم كثيف، فله لوْن أو ما يجري مجرى اللوْن، كأضواءِ الكواكب وصور الأجسام النيّرة. وكذلك، كلّ جسمٍ مُشِفّ فيه بعض الكثافة، فليس يخلو من اللوْن.

....

[٢٦] وإذ قد تبيّن أنّ البصر ليس يُدرك شيئًا من المُبصَرات إلّا إذا كان فيه ضوْءٌ ما: إمّا من ذاته، وإمّا من غيْره، وكان كثيرٌ من الأجسام المُبصَرة قد يظهر ضوْؤها على الأجسام المُقابلة لها ويظهر ضوْؤها على البصر عند إدراك البصر لها، فقد وجب أنْ نبحثَ عن خواصّ الأضواء وعن كيْفيّة إشراق الأضواء، ونبحثَ أيضًا عمّا يعرض بيْن البصر والضوْء؛ ثمّ نجمع بيْن ذلك وبيْن ما يخصّ البصر، ونتلطّف في القياس، ونتوصّل إلى النتيجة.

تعليق

يبحث ابن الهيثم هنا في خواصّ البصر، «التي بها وباجتماعها يتمّ الإبصار» (الفقرة [٢١])؛ على افتراض أنّ البصر سليمٌ «من الآفات». فيبدأ بالمسافة بيْن الجسم المُبصَر والعيْنيْن: أنْ لا تكونَ هذه صفرًا (الفقْرة [١])؛ و(في الفقرة [٢٣]) أنْ لا تتجاوزَ بُعدًا مُعيّنًا. بمعنًى آخرَ: أنْ تقعَ هذه المسافة بيْن هاتيْن النهايتيْن. ثمّ ينتقل إلى «حجم» الجسم المُبصَر: حتى يُرى، يجب أنْ لا يكونَ أصغرَ من حجمٍ مُعيّن. وهذا يتفاوت من مُراقبٍ لآخَر، وفقًا

لقوّة بصره. أرجو أنْ يُلاحظَ القارئُ الكريم هنا التعبير المُدهش (الفقرة [١١]) «وأريد بالحجم مساحة المُبصَر، جسمًا كان أو سطحًا أو خطًّا»: يقول «مساحة المُبصَر»، لأنّ هذا ما يظهر للعيْنَيْن؛ ويتبع ذلك بكلمات معدودات تدلّ على عنايته ببُعديّة الشيء المُبصَر: أكان ثلاثيّ الأبعاد، أم في بُعديْن، أم في بُعدٍ واحد. ومبعث الدهشة والإعجاب ذاك الاهتمام بتفصيلاتٍ نظريّة وتجريبيّة تُفصح عن ذهنيّته الفيزيائيّة الرياضيّاتيّة الرفيعة.

بعد حجم الشيء المُبصَر، تأتي «كثافته»: فحتى يُرى، يجب أنْ يكونَ «أغلظ من الهواء المُتوسّط بيْنه وبيْن البصر»؛ أي أنْ لا يكونَ أكثرَ شفافيّة من الوسَط، وهو الهواء في هذه الحالة. ومن المعروف أنّ ابن الهيثم أجرى تجاربَ ضوْئيّةً مُتعدّدة باستخدام أوْساط غيْر الهواء. وهذه قادته إلى التعمّق في ظاهرة الانكسار [بالمُصطلح الحديث؛ أو الانعطاف، بمُصطلحه]. فتوصّل إلى مفهوم **مُعامل الانكسار** (مع أنّه لم يستعمل هذا المُصطلح)، وإلى قانونَي الانكسار. وقد ثبت مؤخّرًا أنّ قانون الانكسار الأوّل يعود –في واقع الأمر– إلى مُعاصره، العالم المُسلم أبي سعد العلاء بن سهل (٩٤٠-١٠٠٠م)، الذي كان عمله معروفًا لدى ابن الهيثم. وهذا القانون يُشار إليه عالميًّا بـ "قانون سنِل Snell's law"، نسبة إلى العالم الهولنديّ ويلبرورد سنِليوس Willebrord Snellius (١٥٨٠-١٦٢٦م). والفرنسيّون يَنسبونه إلى رينيه ديكارت Rene' Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠م)؛ لهذا السبب، فإنّه يُسمّى أحيانًا قانون سنِل-ديكارت.

وإذا توخّينا العدل والإنصاف، فإنّه قانون ابن سهل-ابن الهيثم: اكتشفه ابن سهل؛ وتبنّاه ابن الهيثم ضمن منظومته، أو "توْليفته الجامعة" –بعد التمحيص والتنظير والتجريب– كما فعل عُمومًا مع العلم الذي سبقه. بعبارةٍ أخرى، وضَعه في سياقه العلميّ الصحيح. هكذا يفعل أصحابُ المنظوماتِ العلميّة الكبرى؛ وهم ندرة في التاريخ. وعالِمنا واحدٌ منهم دون أدنى ريْب. والموْضوع يستحقّ وقفةً، بل وقفات، أخرى.

من ناحيةٍ أخرى، يُذكّرنا ابن الهيثم (في الفقرة [٢])، كعادته دوْمًا، أنّ الضوْءَ ينتقل من نقطة إلى أخرى **في خطّ مُستقيم**. كما يؤكّد (في الفقرة الأخيرة [٢٦]) أنّ الشيء لا يُرى إلّا «إذا كان فيه ضوْءٌ ما»؛ لأنّ الضوْءَ ينطلق من الشيء صوْبَ العيْنَيْن، وليس العكس. وهذا يَقوده بكلّ سلاسة إلى الانتقال إلى موْضوع الفصل التالي (الثالث): «في البحث عن خواصّ الأضواء وعن كيْفيّة إشراق الأضواء».

ملاحظة أخيرة عن عذوبة نثره العلميّ. صحيح أنّه يُكرّر كثيرًا بعض التعابير. لكنّني أعتقد أنّ هذا مقصود؛ لأنّه كان مُعلّمًا حتى النخاع: يَتوخّى الوصول إلى تلامذته، والكحّالين (أطبّاء العيون)، والصنّاع، وغيْرهم. فمن قال إنّ العلم في حضارتنا كان «نخبويًّا»؟ مَنْ قال ذلك؟!

فلا عجبَ أنّ اليُونسكو احتفلت عام ٢٠١٥م بألفيّة المناظر تحت المُسمّى «السنة الدوليّة للضوء». فابن الهيثم ليس فقط من عمالقة حضارتنا العربيّة الإسلاميّة ومجرّاتها الساطعة؛ إنمّا هو أيضًا مِلْكٌ للإنسانيّة جمعاء.

ملاحظاتٌ على «تعريب» المُصطلحات العلميّة

يَعْرُب الدُّوري*



أساليب وضع المصطلح العلمي

يَلجأ المشتغلون بالعلوم والتكنولوجيا في وطننا العربي إلـى خمس طرائقَ لوضع مُقابلاتٍ عربية للمصطلحات العلمية الأجنبية. هذه الطرائق هي:

١- الترجمة: وتتمثل في الترجمة المباشرة للمصطلحات الأجنبية، حيثما أمكن ذلك.

٢- الاشتقاق: ويُعد من أهم الطرائق لتوليد الألفاظ؛ وذلك باستنباط لفظٍ من آخَر.

٣- المجاز: وهو استعارة لفظ من سياقٍ مُعيَّن، واستخدامه في سياقٍ آخر (مثلاً: سيّارة).

٤- النحت: وهو دمجُ لفظيْن معًا لاستنباط لفظٍ جديد (مثلاً: برمائيّ).

٥- التعريب: أيْ أخذ مُصطلحٍ أجنبي، ووضعه بجرْسٍ عربيٍّ وَفقًا للأوزان العربية.

* أستاذ علم النانو والنانوتكنولوجي- الجامعة الأميركية في العراق/ السليمانية.

الحاجة إلى المصطلحات العلميّة

تواجه الأمةُ العربية تحدياتٍ معقدةً وكبيرة. ولمواجهة هذه التحديات، يلزمنا نظامٌ تربوي وتعليمي متطور. كما أننا بحاجةٍ إلى تعليم جامعي يهدف إلى تكوين إنسانٍ ملتزم أخلاقيًّا وعلميًّا، ومُنتم إلى أمته ولغته العربية؛ ليكون قادرًا على توظيف قدراته وإمكاناته العقلية ومهاراته العلمية للإسهام في نهضة الأمة ورفعتها. فالجامعة اليوم لمْ تَعُدْ مجردَ محطة تعليمية، بل أصبحتْ مؤسسةً لها أبعادها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بما تقدّمه من أفكارٍ وتدريب ومهارات؛ الأمر الذي ينعكس إيجابًا على المجتمع من حيثُ تقدمُه وتطوره وبناءُ حاضرِه ومستقبَله بالعلم والبحث العلمي.

وهنا تبرز مشكلة التواصل بين الباحثين والأساتذة من جهة، والطلبة وأصحاب القرار من جهةٍ أخرى. فهل يُمكن أنْ يكونَ هذا التواصلُ بلغةٍ غيّر لغتنا العربيّة؟! الإجابة عن هذا السؤال –في رأينا– لا؛ لا يُمكن. ومع ذلك، علينا أنْ نواجهَ في هذا الصدد مُشكلة المُصطلح العلمي العربي؛ وهذا موضوع هذه المقالة.

مشكلات المصطلح العلمي العربي:

أولاً: مشكلات «الثنائيات» الآتية:

١- ثنائية اللغة العربية- اللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية).

٢- ثنائية اللغة المَحكية (اللهجة المحلية)- اللغة الفصيحة (أو السليمة).

٣- ثنائية اللغة الإنجليزية (المشرق العربي)- اللغة الفرنسية (المغرب).

ثانيًا: عدم توحيد المصطلحات العلمية العربية عمومًا بين أقطار الوطن العربي؛ بل في معظم الأحيان حتى داخلَ القطر العربي الواحد! فلا توجد قواعدُ علميةٌ راسخة لوضع هذه المصطلحات. أضف إلى ذلك الارتجالية السائدة لدى كثير من العِلْميّينَ العرب العاملين في هذا المجال؛ وعدم التنسيق المستمر بين المجامع اللغوية العربية وسائر الجهات المعنية. ولعلّ المشكلة الحقيقية هنا تكمن بالضبط في عدم التنسيق بين هذه الجهات؛ وفي غياب "الرقابة" اللغوية على الإصدارات العلمية العربية، المُترجَمَة والمؤلَّفة، وغياب التشريعات القانونية لمكافحة الإساءة للُغتنا العربية (باستثناءات محدودة جدًّا).

ثالثًا: وجود مُقابِلاتٍ عربيةٍ عدة للمصطلح العلمي الواحد عمومًا؛ لأن هذه المقابلات كثيرًا ما تُوْضع بجهودٍ فردية. كما أنه ليس هنالك مِن تنسيقٍ فعّالٍ في هذا الشأن بين المُؤسسات العربية؛ بل حتى على صعيد القطر العربي الواحد!

رابعًا: تصدّي غير المتخصصين أحيانًا لوضع المصطلح العلمي؛ وبطء العمل المُتخصّص في المجامع العربية وسائر الجهات المعنية.



مصادر المصطلح العلمي العربي

أولاً: المعاجم والقواميس العربية، الورقية والإلكترونية، باعتبارها منبعًا غنيًّا لوضع المصطلحات وتوليدها؛ والمجلات العلمية العربية الرصينة؛ ومؤلفات الكُتّاب المعروفين بالدقة والإتقان في الموضوعات المختلفة.

ثانيًا: الدراسات الحديثة والأبحاث المعاصرة؛ وأعضاء المجامع اللغوية والعلمية العربية.

ثالثًا: تجارب الأمم المختلفة في مجال المصطلحات العلمية؛ على أساس أن هنالك قواسمَ مشتركة بينها وبين التجارب العربية.

كيفية وضع/ اختيار المصطلح العلمي العربي

اتَّفق العِلْميُّون على أهمية المصطلح العلمي، على اختلاف اختصاصاتهم، للدلالة على شيء محدد، وللتمييز بين المفاهيم. فالمصطلح هو لغةُ التفاهم بين المتخصصين وسواهم، بمَن في ذلك أصحاب القرار والطلبة والجمهور. وهو نافذةٌ للإطلالة على مختلِف العلوم والمعارف. فقد رافق المصطلحُ العلمي مختلِف التطورات العلمية والحضارية. وفيما يأتي الأسس المتّبعة لوضع المصطلح أو اختياره:

١- وجود اهتمام خاص بمدلول المصطلح العلميّ أو التكنولوجي، ومدلوله الاصطلاحي.

٢- إثبات أصل المُصطلح (أيّ لغة أجنبية؟).

٣- محاولةُ إيجاد مُقابلٍ عربي واحدٍ للمصطلح الأصلي الواحد في الحقل الواحد قدر المستطاع.

٤- تفضيل الكلمة بمشتقاتها على نظيرتها من دون مشتقات.

٥- اختيار أقرب المفردات في المعنى للمصطلح الأجنبي.

٦- تفضيل المقابلات العريقة على المُحدَّثة.

٧- اختيار المقابلات المعربة والمترجمة التي اتَّفق على استعمالها المُتخصصون.

٨- إخضاع المقابل "المعرّب" للجرس العربي والأوزان العربية.

٩- توحيد المقابل العربي للمفهوم العلمي الواحد في التخصص الواحد.

١٠- اجتناب تعدد المفاهيم للمصطلح العلمي الواحد في المجال الواحد.

١١- إحياء مصطلحات علمية عربية من تراثنا القديم والحديث، حيثما أمكن.

١٢- إعطاء الأولوية للمفردات العربية الفصيحة.

١٣- عدم استعمال اللغة العامية (إلّا ما يمكن تفصيحه).

١٤- تجنب الألفاظ غير الدقيقة والمنفّرة والشاذة.

١٥- اتباع الأسلوب الدولي، بقدر الإمكان، في اختيار المصطلحات؛ وذلك عن طريق:

أ- قيام المتخصصين وأعلام اللغة في وضع المصطلحات.

ب- تعريف المفاهيم وتحديدها وجدولتها حسب كل تخصص.

ت- تصنيف المصطلحات العلمية والتكنولوجية حسب فروعها، استنادًا إلى التصنيف العشري الدوليّ

١٦- مراعاة الوضوح والدقة والاتقان.

١٧- "تعريب" المصطلحات المتداولة عالميًّا؛ بمعنى وضعها بجرسٍ عربي، وفقًا للأوزان العربية.

مقترحات لمعالجة المشكلات المصطلحية

١- عقد ورشٍ علمية وندوات ومؤتمرات للتعريب والترجمة دوريًّا ورفدها بالبحوث والدراسات المختصة في مجال اللغة العربية ومصطلحاتها الجديدة بغية الوصول إلى حلول ناجحة.

٢- مشاركة المختصين من اللغويين والمعجميين والمترجمين تحديدًا في صياغة المصطلحات العلمية ووضعها وضبطها عمومًا.

٣- تدقيق المصطلحات العلمية وإمكانية توحيدها بالاستعانة بالتكنولوجيات الحديثة.

٤- توحيد الجهود العربية للمصطلحات العربية من خلال مؤتمر عربي عام لكي تُضبط المصطلحات العلمية العربية وتقنن وتثبّت، وتستكمل الدراسات والبحوث فيها بغية تنسيق التعريب وتوحيد الصف والكلمة.

٥- لا بد من دورٍ فعال وأساسي لمجامع اللغة العربية في الوطن العربي لوضع السياسات الثابتة والأسس الحقيقية والقواعد السليمة من أجل نشر ثقافة المصطلح العلمي وتعميم ممارسته لبناء أجيال المستقبل بلغة عربية سليمة.

للاستزادة، يُنصح الرجوعُ إلى المراجع الآتية:

(١) علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

(٢) روافد الترجمة العلمية في الوطن العربي، والي دادة عبد الحكيم، التعريب، ع٥٤، ٢٠١٨م.

(٣) المُشكل غير المُشكل: قضية المصطلح العلمي، حمزة قبلان المزيني، علامات، النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، ج٨، ١٩٩٣م.

(٤) واقعية المبادئ الأساس في وضع المصطلح وتوليده، دراسات مصطلحية، ع١، ٢٠٠١م.

(٥) التعريب والمصطلح، محيي الدين صابر، اللسان العربي، ع٢٨، ١٩٨٧م.

(٦) المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، محمد رشاد الحمزاوي، الميدان العربي، بيروت، ١٩٨٦م.



من التّراث

الماء في القرآن الكريم والتراث العربي

عبد الجليل الزق



الماء في القرآن الكريم والتراث العربي



عبد الجليل الزق*

الماءُ مصدرُ الحياة والحيوية في الكون الذي نعيش فيه، فلا غنى عنه لإنسان أو حيوان أو نبات، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. وحديثُ القرآن الكريم عن الماء حديثٌ شائق ماتع يضفي عليه العظمةَ والقداسة؛ حديثٌ يأسر العقولَ ويستولي على القلوب: بدأ القرآنُ الكريمُ حديثَه عن الماء بوصفه بالصَّب وصفًا مؤكَّدًا في سورة عبس: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾، وفي هذا الوصف إشارةٌ إلى كثرته وتأكيد المنة به بإزاء أهم ما يحيا به الإنسانُ -وهو طعامُه- ليتذكرَ هذه النعمةَ كلما وَضَع في فيه بعضَ ذلك الطعام. ثم كان وصفُه بالفرات في قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ لبيان فضل الله في هذه النعمة بأن الماء مستساغٌ عذبٌ سائغٌ شرابُه صالحٌ لحياة الإنسان والحيوان والنبات فليس فاسدًا أو أجاجًا وكان يمكن أن يكون كذلك.

ثم وصفَه الله سبحانه وتعالى بالبركة في سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾. ولا ريب أنّ وصف الماء بالبركة متلائمٌ كلَّ التلاؤم مع آثاره العظيمة الواضحة في تلك النعم الواردة في الآيات. وبيّن الحقُّ أنّ الماءَ -الذي هو أصل الحياة- هو أصل الطهارة أيضًا، ولذا وصفه بالطَّهور في سورة الفرقان: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾. وهذا الوصفُ (الطَّهور) تذكيرٌ بسموّ هذا الماء في أوصافه وأنه وسيلةُ الوُضوء والغُسل والطهارة والنظافة عمومًا. فنحن بحاجةٍ إلى الماء الطَّهور لا إلى الماء

* مدير التربية والتعليم- عمان الثانية، سابقًا.

الطاهر فحسب، وقد ورد ذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر في «سُنَن ابن ماجه»: «هو الطَّهورُ ماؤُه الحِلُّ ميتتُه»، أي الطاهر في نفسه المطهِّر لغيره كما في «المصباح المنير».

وهذا الماءُ الشاملُ للمنافع المادية والروحية لا يكون إلا بترتيب وحساب دقيق ومقدمات خلقَها الله سبحانه وتعالى بقدرته، وهي الرياح والسحاب والسَّوق. وقد وُصِفَ الماءُ بكونه ثَجّاجًا في سورة النبأ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾، فهذا متناسبٌ مع المعصرات وهي السُّحُب المحمَّلة بالماء وقد قاربتْ أنْ تنزلَه، فلا ريب أنه يكون حينئذٍ كثيرًا شديدًا.

ووصْفُ الحقِّ الماءَ بالرحمة في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ وقوله في السورة ذاتها: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ -يُذكِّرُ الإنسانَ بأن هذا الماء رحمة، وهو لفظٌ عامٌّ يشمل كلَّ خير. ثم يَذكر طرفًا خاصًّا يهمّهم من هذه الرحمة وهو أنه رزق، في سورة الجاثية: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾، وفي سورة الذاريات: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾.

وقد ذُكِرَ الماءُ بلفظ «الوَدْق» في سورة الروم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾، وفي سورة النور يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾. والودق -كما يذكر اللغويون في معاجم اللغة- هو الماء النازل من السحاب، ومن شواهده:

- قولُ عامر بن حوين الطائي:

فـلا مُـزْنَـةَ وَدَقَـتْ وَدْقَـهـا ... ولا أرضَ أَبْـقَـلَ إبـقـالَـهـا

- وقولُ زيد الخيل:

ضَرَبْنَ بغَمْرةٍ فخرَجْنَ مِنْهَا ... خُروجَ الوَدْقِ مِن خلَلِ السَّحابِ

ومن معاني كلمة «ودق» المؤانسة والائتناس، من (ودقتُ به: أنست به). ولا شك أن الماء بهذه الصفة يؤنس الإنسانَ المترقِّب لنزوله ويزيل إبلاسه كما ورد في سورة الروم: ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم

مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

ويحدثنا القرآن الكريم عن فوائدَ عظيمةٍ كثيرةٍ للماء في حياة الإنسان؛ نَعدُّ منها ولا نَعدّها:

- الشرب والسقيا: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ (سورة الحِجْر).
- إخراج الحب والنبات والجنائن من الأرض: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾ (سورة النبأ).
- إحياء الأرض بعد جدبها وموتها: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (سورة النحل).
- الطهارة وإزالة العوالق التي تسبب الأذى للإنسان: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (سورة الأنفال).
- الماء علاجٌ رباني من الأمراض، فبعد أن نادى سيدُنا أيوبُ عليه الصلاة والسلام ربَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ جاءه الأمرُ الإلهي: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (سورة ص).

وإذا كان علاجُ سيدنا أيوب عليه السلام بالماء معجزةً ورحمةً من الله جل وعلا فهو كذلك إشارةٌ إلى الأسرار المخزونة في الماء، ويتضح هذا الأمر جليًّا في ماء زمزم الذي أشاد الرسولُ عليه الصلاة والسلام بفضله وبركته، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من ماء زمزم وقال: «إنها طعامُ طعم وشفاءُ سقم». وقد روي في «سُنن الدّارقطني» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَاءُ زَمْزَمَ لما شرِب له: إنْ شَرِبْتَه تَستشفي به شفاك اللّه، وإن شربتَه لشبَعِكَ أشبعكَ اللّه به، وإنْ شربتَه ليَقطعَ ظمأك قَطَعه اللّه». وروى الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيرُ ماءٍ على وجه الأرض زمزم: منه طعامُ الطعم وشفاء السقم». وذكر ابنُ القيم رحمه الله أنه شاهد مَن كان يتداوى بماءِ زمزم ومَن كان يتغذى به ويعيش عليه فترةً طويلة دون أن يَضعف أو تذهب قوته. وذكرت المصادرُ أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه عاش على ماء زمزم ثلاثين يومًا وليلةً ولم يهزل.



ولَمّا كان الماءُ قوامَ الحياة جَعلَت الشريعةُ الإسلامية حقَّ الانتفاع بالماء مكفولاً للجميع بلا احتكار ولا إفساد ولا تعطيل، فهو حقٌّ شائع بين جميع البشر



ولمّا كان الماءُ قوامَ الحياة جَعَلت الشريعةُ الإسلامية حقَّ الانتفاع بالماء مكفولاً للجميع بلا احتكار ولا إفساد ولا تعطيل، فهو حقٌّ شائع بين جميع البشر، حيث نجد في السنة النبوية أدلةً على منع احتكار الماء باعتباره سلعةً حياتية لا يمكن الاستغناء عنها؛ جاء في "سنن أبي داود" أنه صلى الله عليه وسلم قال: "الناسُ شركاءُ في ثلاث: في الكلأ والماء والنار".

وإذا بحثنا عن الماء في التراث العربي والإسلامي نجد أن العرب منذ تاريخهم القديم أدركوا أهمية الماء في الحياة وعبّروا عن ذلك، فكان في تراثهم الأدبي الشيءُ الكثير عن الماء، وقد لُقِّبَ العربُ بـ(بني ماء السماء) لكثرة تشوقهم للغيث وتتبع أخباره وترقب قدومه، وقد جاء في "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمُّكم هاجرُ يا بني ماء السماء".

ولما كان العرب أهلَ صحراء مترامية الأطراف يعز فيها الماء، جَعَل جفافُ الماءِ للماء مكانةً في نفوسهم بلغَتْ حدَّ التقديس والتبجيل، وبرز ذلك في مظاهرَ كثيرة من حياة أوائلهم فاتخذوا لورد الماء أصولاً وقوانينَ وأعرافاً يحترمونها أيَّما احترام



ولما كان العرب أهلَ صحراء مترامية الأطراف يعز فيها الماء، جَعَل جفافُ الماءِ للماءِ مكانةً في نفوسهم بلغتْ حدَّ التقديس والتبجيل، وبرز ذلك في مظاهرَ كثيرة من حياة أوائلهم فاتخذوا لورد الماء أصولاً وقوانينَ وأعرافاً يحترمونها أيَّما احترام، فمَن كان له ثأرٌ عند إنسان آخر وأدركه يمسك قربة الماء أو مكبًّا على الغدير يرتوي؛ أمهله حتى يُتمَّ شربه! وكانوا يسقون الذبيحة الماء حتى ترتوي ثم تذبح.

ولولا احترام ورد الماء ما أمهل شاعرُهم قطيعَ حمار الوحش حتى ترتوي ثم ترجع عن الغدير، وبعدها أطلق سهمه رغم حاجته الماسة إلى واحدة منها فليس لديه قرى لضيفه، حيث يقول في القصيدة المشهورة بـ(قصيدة الكرم العربي):

عطاشًا تُريدُ الماءَ فانسابَ نحوَها ... على أنّـه منها إلـى دَمِـها أَظْـمـا

أَمْـهَـلَـهَـا حَـتـى تَــرَوّتْ عِـطَـاشُـهَـا ... فَـأَرْسَـلَ فيها مِـن كِـنـانَـتِه سَهْمَا

ولمكانة الماء في نفوس العرب نرى شعراءهم يسهبون في ذكر الماء ويقرنونه برجْع أحاديث محبوباتهم، فهذا أبو ذؤيب الهذلي يشبه حديث محبوبته بعسل النحل الممزوج بألبان أبكار الإبل حديثة النتاج، والمشوب بماءٍ صافٍ، مثل ماء المفاصل (وهو ماءٌ بين جبلين)، وإنما خُصَّ بالذكر لصفائه بسبب انحداره عن الجبال دون أن يمر بطين أو تراب، يقول:

وإنَّ حَـدِيـثًـا مِـنْـكِ لَـوْ تَـبْـذُلِـيـنَـهُ ... جَنى النّحْلِ في أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ

مَطافِيل أبكارٍ حديثٍ نَتَاجُهَا   تُشابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ المَفاصِلِ

وهذا شاعرٌ آخر يرى أن أثر حديث محبوبته في نفسه كصوتِ غيثٍ هاطل في نفس راعي إبل طال عهده به فيقول:

وحَديثُها كالغَيْثِ يَسْمَعُه   راعي سِنينَ تتابَعَتْ جَدْبا

فأصاخ مُسْتَمِعًا لِدَرَّتِها   ويقولُ مِنْ فَرَحٍ هَيَا رَبّا

ومن وصايا العرب ذات الصلة بالماء وصيةُ الفُرَاقِصَة الكلبي لابنته نائلة حين جهزها لزوجها الصحابيِّ الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه –وهي في "عيون الأخبار" لابن قتيبة– فكان مما قاله لها: "يا بنية! إنكِ تقدمين على نساء قريش وهنَّ أقدرُ على الطِّيب منك، فلا تُغْلَبي على خصلتين: الكحل والماء. تطهّري حتى يكون ريحكِ ريحَ شنّ". ومن وصية أمامة بنت الحارث لابنتها ليلةَ زفافها –وهي في كتاب "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري–: "...وليكنْ أطيبُ طيبك الماء". ولا غرابة في ذلك، فالعرب تقول: "أطيب الطيب الماء".

وجاء في "البداية والنهاية" لابن كثير أنّ ابن السماك الواعظ الزاهد، دخل على هارون الرشيد يومًا فاسْتَسقى الرشيدُ فأُتِيَ بِقُلّةٍ فيها ماءٌ مُبَرّد، فقال لابن السماك: عِظني. فقال: يا أميرَ المؤمنين! بكم كُنْتَ مُشْتريًا هذهِ الشَّرْبَة لو مُنِعْتَها؟ فقال: بنِصْف مُلْكي. فقال: اشْربْ هنيئًا. فلما شَرِب قال: أرأيتَ لو مُنِعْتَ خُروجَها من بَدَنك، بكم كُنْتَ تشتري ذلك؟ قال: بملكي كله. فقال: إنّ مُلكًا قيمتُه شَرْبَةُ ماءٍ لَخَليقٌ أنْ لا يُتنافس فيه. فبكى هارون!

تراثنا العربي والإسلامي يتميز بالغنى والغزارة في محتواه، فكم فيه من الكنوز العظيمة! ومن الإجحاف والغبن الشديد إضاعة هذه الكنوز وعدم الاستفادة منها



وأمثالُ العرب غنيةٌ بالماء، ومنها:

- "يا ماءُ لو بغيرك غَصَصْت". يُضرب لمن أصابه الأذى من حيث ينتظر المعونة.
- الدنيا كالماء المالح، كلما ازددت منه شربًا ازددت عطشًا.
- البئرُ الجيد يعطيك الماء عند القحط، والصديقُ الجيد تعرفه عند الحاجة.
- الماءُ أهونُ موجود وأعزُّ مفقود.
- كالعيسِ في البَيْداء يَقْتُلُها الظَّما ❖❖❖ والماءُ فوقَ ظُهورها مَحمول.

(ذو الرمة)

- لا يصاب بالبلل مَن بقي بعيدًا عن الماء.
- الماءُ يَغسل كلَّ شيء تقريبًا إلا اللسانَ السيّئ.
- القول الشهير: "فسّرَ الماء بعد الجهد بالماء".

وفي الختام أقول: تراثنا العربي والإسلامي يتميز بالغنى والغزارة في محتواه، فكم فيه من الكنوز العظيمة! ومن الإجحاف والغبن الشديد إضاعة هذه الكنوز وعدم الاستفادة منها، وخاصةً مكنوزات تراث الماء الذي تكتسب عملية إعادة إحيائه أهميةً كبيرة في ظل تفاقم مشكلات المياه في معظم البلدان العربية والإسلامية. ومَن أراد المزيدَ بشأن هذا الموضوع فعليه بـ:

- د. محمد سلامة يوسف رحمة: الماء في التراث العربي، مجلة الكويت، العدد ٦٤، ص١٠٤.
- خالد إسماعيل غنيم: الماء في القرآن الكريم، المجلة العربية، محرم ١٤١٦هـ، ص٢٦.
- فوزي عبدالقادر الفيشاوي: زمزم الماء والشفاء، مجلة الفيصل، العدد ٢٨٢، ص٩٣.
- د. بغداد عبد المنعم: الماء في التراث العربي والإسلامي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦.
- د. عبدالحليم شادي: نعمة الماء، مجلة منبر الإسلام، العدد ٤، السنة ٤٨، ص٢٣.




قال رسول الله ﷺ :
"ماء زمزم لما شرب له"

زاوية

الترجمة



بيْن المُعلّم والتلميذ الذي أصبح مُعلّمًا (١)

هُمَام غَصيب*

أمّا المعلّم، فهو رينولد ألين نيكلسون Reynold Alleyne Nicholson (١٢٨٥-١٣٦٤هـ/١٨٦٨-١٩٤٥م)، الذي كان موضوع "زاوية الترجمة" في العدد الثاني من البيان العربيّ (ص٨٤-٨٦). وهو مُستشرق التصوّف الإسلاميّ المعروف الذي برع في الترجمة عن العربيّة والفارسيّة إلى الإنجليزيّة، وانتهى به المطاف الأكاديميّ في جامعة كيمبردج (ما بين عامَيْ ١٩٢٦ و١٩٣٣) أستاذ «كرسيّ السير توماس آدامز للعربيّة».

وأمّا التلميذ النجيب، فهو آرثر جون آربري Arthur John Arberry (١٣٢٣-١٣٨٩هـ/١٩٠٥-١٩٦٩م) الذي برع هو الآخر في الترجمة عن العربيّة والفارسيّة إلى الإنجليزيّة. ويكفيه فخرًا ترجمته الراقية لمعاني القرآن الكريم. كما ترجم إلى الإنجليزيّة مسرحيّة "مجنون ليلى" لأحمد شوقي؛ وتصدّى –ترجمةً وتفسيرًا– لأعمال جلال الدين الرومي (كأستاذه نيكلسون)، ومحمّد إقبال، وحافظ الشيرازي، وغيْرهم. وتُوّجت حياته الأكاديميّة بتعيينه في كرسيّ أستاذه بكيمبردج عام ١٩٤٧، الذي شغله حتى وفاته.

(١) إهداء إلى ذكرى فقيدنا الدكتور عبد الحميد الفلاّح، رحمه الله.

* عضو مَجْمَعِ اللّغة العربيّةِ الأُردنيّ؛ أُستاذ الفيزياء النّظريّة.

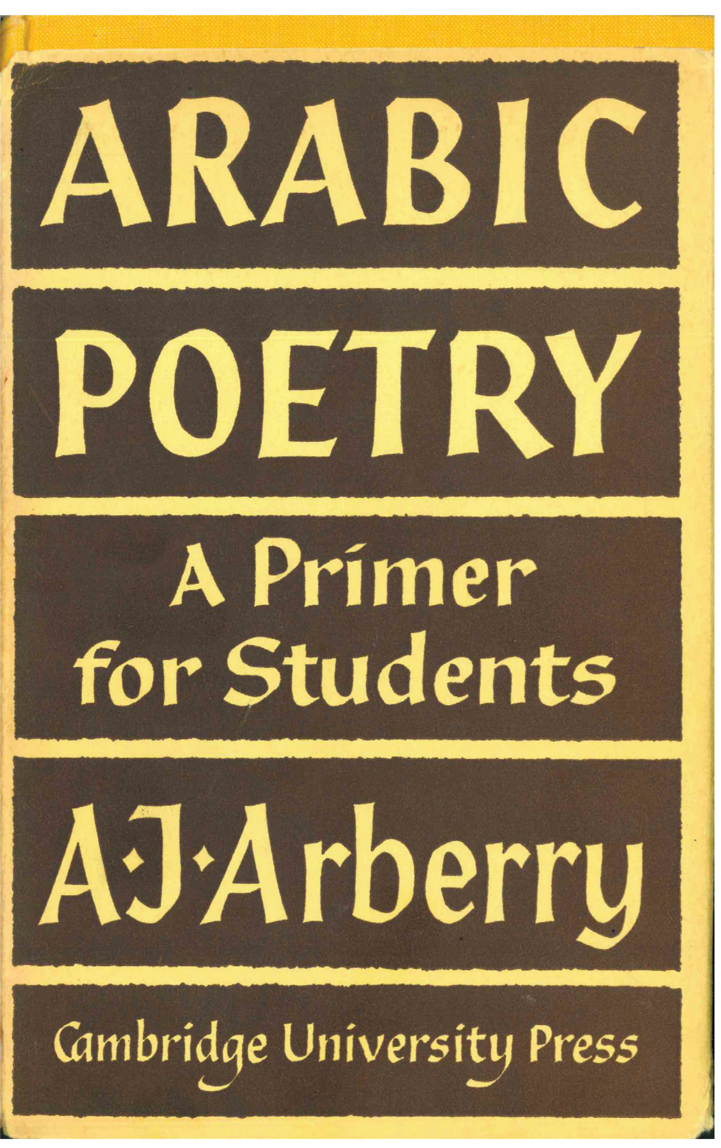
بيْن يديّ الآن كتاب صغير الحجم، عظيم الفائدة، يحمل العنوان:

ARABIC POETRY:

A Primer for Students, Edited by A. J. Arberry, Cambridge, At The University Press, 1965.

وهو كتاب أعتزّ به كثيرًا، وأعامله برقّة و"حنوّ"؛ لأنّه كان ضمن جوائز التفوّق التي منحتني إيّاها مَدْرستي لدى تخرُّجي فيها عام ١٩٦٦.

يقع الكتاب في ١٧٥ صفحة من الحجم المتوسّط، بِبُنط صغير؛ خُصّصت أوّلُ ٢٧ صفحة منه لمُقدّمة عميقة ضافية، تناول فيها المُحرّر آربري الشعر العربيّ من حيث تطوّرُه، وطبيعتُه، وأشكاله، وأوزانُه. بعدها جاءت ٣١ قصيدة من عيون الشعر العربيّ لشعراء كبار؛ ابتداءً بالسموأل بن عادياء (الذي ازدهر في مُنتصف القرن السادس الميلاديّ)، فالنابغة الذبياني (ت ٦٠٤م تقريبًا)، فعنترة بن شدّاد (القرن السادس الميلاديّ)؛ وانتهاءً بأحمد شوقي (١٢٨٥-١٣٥١هـ/١٨٦٨-١٩٣٢م)، فخليل مطران (١٢٨٩-١٣٦٨هـ/١٨٧٢-١٩٤٩م)، فمعروف الرصافي (١٢٩٢-١٣٦٥هـ/١٨٧٥-١٩٤٥م). وتلت ذلك نبذٌ موجزة عن هؤلاء الشعراء. وهنالك شروحاتٌ وتعليقاتٌ نبيهة في الحواشي السفليّة.



ولعلّ أبرزَ سمات الكتاب أنّ الصفحات "اليُمنى" تحمل القصائد العربيّة؛ في حين ترد الترجمة الإنجليزيّة في الصفحات "اليُسرى" المُقابلة. وهذا يجعل القراءة سهلة مُمتعة؛ فلا حاجة لتقليب الصفحات طوال الوقت!

وأسوق فيما يأتي مُختاراتٍ شتّى مُجتزأةً من قصائدَ عدّة، لنرى براعته في ترجمة الشعر العربي إلى الإنجليزية:

• **السموأل:**

١	إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُهُ	فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
٢	وإن هو لم يَحْمِلْ على النفس ضَيْمَها	فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
٣	تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا	فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ

1 AL-SAMAU'AL

1 When a man's honour is not defiled by baseness, then every cloak he cloaks himself in is comely;

2 And if he has never constrained himself to endure despite, then there is no way (for him) to (attain) goodly praise.

3 She (was) reproaching us, that we were few in numbers; so I said to her, "Indeed, noble men are few.

1 Sources: Abū Tammām, *al-Ḥamāsa* (ed. Freytag), 49–54.
J. W. Hirschberg, *Der Dīwān des as-Samau'al ibn 'Adijā'* (Cracow, 1931), 21–3.

Metre: *ṭawīl*.

For a full discussion and analysis of this celebrated poem see Hirschberg, *op. cit.*

2. The usual meaning of *ḍaim* is "wrong, injustice"; here the intention is clearly "being unjust to oneself" in the sense of compelling oneself to endure intolerable hardships.

3. Presumably the taunt was shouted by a woman accompanying into battle the warriors of a rival tribe.

❖ **أبو تمّام:**

٩ أبو تمّام

١	السيف اصْدَقُ أنباءً من الكُتُبِ	فى حَدِّه الحدُّ بين الجِدّ واللَّعِبِ
٢	بِيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائف فى	متونهنّ جلاء الشكّ والرِّيَبِ
٣	والعِلْم فى شُهُب الأرماح لامعةً	بين الخميسَيْنِ لا فى السبعة الشُّهُبِ
٤	أين الرواية بل أين النجوم وما	صاغوه من زُخْرف فيها ومن كَذِبِ
٦٩	إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ	موصولةٍ أو ذمامٍ غير منقضبِ

٧٠ فبين أيّامك اللاتى نُصِرْتَ بها — وبين أيّام بَدْرٍ أقْرَبُ النسب

٧١ أبْقَتْ بنى الأصفر المِمْراض كاسمهم — صُفْرَ الوجوه وجلَّتْ أوْجُهَ العرب

9 ABŪ TAMMĀM

1 The sword is truer in tidings than (any) writings: in its edge is the boundary between earnestness and sport.

2 (Swords) white as to their blades, not (books) black as to their pages—in their broad sides (texts) lies the removing of doubt and uncertainties;

3 And knowledge (resides) in the flames of the lances flashing between the two massed armies, not in the seven luminaries.

4 Where (now) is the recital (of the astrologers), indeed where are the stars, and the embroidery and the lie they fashioned concerning them?—

69 Were there any joined tie of kinship between the vicissitudes of time, or any intact right to respect,

70 Then there would exist the closest relationship between your victory-crowned days and the days of Badr.

71 They (the days of victory) have left the sons of sickly al-Aṣfar pale of face as their name, and brightened the faces of the Arabs.

70. "The days of Badr": the celebrated victory of A.D. 624, in which 300 Muslims led by the Prophet defeated a much larger force of the Meccans.

71. "The sons of the sickly al-Aṣfar": the Byzantines, traced by Arab genealogists to an ancestor named al-Aṣfar ("the Pale").

❖ **ابن الرومي:**

١٠ ابن الرومى

١ ذاد عن مقلتى لذيذَ المنام — شغلُها عنه بالدموع السجام



٢ أىّ نـوم من بـعـد ما حلّ بـالـبـ صرة ما حلّ من هـنـاتٍ عـظام

٣ أىّ نوم من بـعـد ما انتهك الزنـ ـجُ جـهـارًا محـارمَ الإسـلام

٤ إنّ هـذا مـن الأمـور لأمـرٌ كـاد أن لا يـقـوم فـى الأوهـام

٥ لـرأيـنـا مـسـتـيـقـظـين أمـورًا حَسْبُنا أن تـكـون رؤيـا مـنـام

10 IBN AL-RŪMĪ

1 Sweet sleep has been barred from my eyes by their preoccupation with copious tears.

2 What sleep (is possible) after the great misfortunes that have befallen Basra?

3 What sleep (is possible) after the Zanj have violated openly the sacred places of Islam?

4 This indeed is such an affair as could scarcely have arisen in the imagination.

5 Wide awake we have witnessed matters which it would have sufficed us were they visions seen in a dream.

1. The poem opens with the suggestion of a *nasīb*, the theme being the stock sleeplessness of the distraught lover. *Al-sijāmi* is "an infinitive noun used as an epithet" (Lane 1312).

❖ **البحتري:**

١١ البحترى

١ صُنْتُ نـفـسي عمّا يُدنّس نفسي وترفّعتُ عـن جَـدا كـلّ جِـبْس

٢ وتماسكتُ حيـث زعزعنى الـدهـ رُ ٱلتماسًا مـنـه لـتعـسى ونُكْسى

٣ بُـلَـغٌ من صُـبـابـة العيش عـنـدى طفّفتْـها الأيّـامُ تَـطْـفـيـفَ بَخْس

٤	وبعيدٌ ما بين وارد رَفْه	عَلَلٍ شُرْبُه ووارد خِمْس
٥	وكأنّ الزمان أصْبَحَ محمو	لاً هواه مع الأخَسِّ الأخَسّ
٦	وٱشترائي العراق خُطَّةُ غَبْنٍ	بعد بيعي الشآم بيعة وَكْس

٢٢	فاذا ما رأيتَ صورة أنْطَا	كِيَّةَ ارْتَعْتَ بين روم وفُرْس
٢٣	والمنايا مَوَاثِلٌ وأنوشر	وان يُزْجِي الصفوف تحت الدِرَفْس
٢٤	في ٱخضرارٍ من اللباس على أصْ	فَرَ يختالُ في صبيغة وَرْس
٢٥	وعِرَاكُ الرجال بين يديه	في خُفُوتٍ منهم وإغماض جَرْس
٢٦	من مُشيحٍ يهوى بعامل رُمْحٍ	ومُليحٍ من السنان بتُرْس
٢٧	تَصِفُ العينُ أنّهم جِدُّ أحْيَا	ءٍ لهم بينهم إشارة خُرْس
٢٨	يغتلي فيهمُ ٱرتيابيَ حتّى	تتقرّاهمُ يداي بلَمْس

1 I have guarded my soul from that which would defile my soul, and I have exalted myself above the pittance of every poltroon,

2 And I held firm when fortune shook me violently, seeking to contrive my fall and overthrow.

3 Bare sufficiency of the dregs of livelihood (remains) to me, which the days doled out in short measure, a doling out of defrauding.

AL-BUḤTURĪ

4 Far is the difference between him who comes down every day to drink whose draught is uninterrupted, and him who comes down to drink after three days' thirsting.

5 It is as though time's favours have come to be directed (only) towards the ignoblest of the ignoble;

6 And my purchasing of Iraq was a course of folly, after my selling Syria in a sale of utter loss.

22 When you behold the picture of Antioch, you are alarmed (as) between Byzantium and Persia,

23 The Fates there waiting, whilst Anūshirwān urges on the ranks under the royal banner

24 (Robed) in green over gold, proudly flaunting the dye of the (red) tumeric,

25 And the press of men before him, all silent, lowering their voices,

26 Some cautiously reaching out the foreshaft of a lance, some fearfully averting the spear-points with a shield.

27 The eye describes them as really alive, signalling like the dumb one to another;

28 My doubt concerning them augments, until my hands explore and touch them.

Metre: *khafīf*.

1. "Pittance": for *jadā* meaning "donation", see Lane 393, col. 2.

2. For *ḥaithu* the reading *ḥīna* is given in the Constantinople edition and in *Muntakhab*.

3. For *bakhs*, cf. Koran, XII, 20.

4. "After three days' thirsting": *khims* is used of a camel which drinks one day, then misses three days, then drinks again on the fifth day.

6. The poet regrets having left Syria to take up residence in Baghdad. Al-Buḥturī was born in Manbij, and after an early career in Maʿarrat al-Nuʿmān he joined Abū Tammām at the court of Malik b. Ṭauq, governor of Iraq. Thereafter in an eventful life he shuttled to and fro between Iraq and Syria; see *Encycl. of Isl.*[2], I, 1289–90. Note the *ṭibāq*.

22. Antioch was besieged and destroyed by Anūshirwān in 540, during the perennial wars between Sasanian Persia and Byzantium.

23. *Dirafs* is the arabicised form of the Persian *dirafsh*.

24. The *wars* yielded a dye described alternatively as intensely red and intensely yellow, see Lane 2936–7.

26. *Muntakhab* reads *bi-ḥāmili* for *bi-ʿāmili*. Note the *malāʾama*, and the internal rhyme (and partial *jinās*) between *mushīḥin* and *mulīḥin*.

27. For this use of *jiddu* see Wright, II, 279c.

28. "My doubt": sc. as to whether they are animate or inanimate.

❖ المُتنبّي:

AL-MUTANABBĪ

١٣ المتنبّى

١	على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ	وتأتى على قدر الكِرام المكارمُ
٢	وتعظم فى عين الصغير صغارهم	وتصغر فى عين العظيم العظائم
٣	يكلّف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه	وقد عجزت عنه الجيوشُ الخضارم
٤	ويطلب عند الناس ما عند نفسه	وذلك ما لا تدّعيه الضراغم
٥	يُفدّى أتمُّ الطير عمراً سلاحَه	نسورُ الملا أحداثُها والقشاعم
٦	وما ضرَّها خلقٌ بغير مخالب	وقد خُلِقَتْ أسيافُه والقوائم

13 AL-MUTANABBĪ

1 According to the degree of the people of resolve come the resolutions, and according to the degree of noble men come the noble actions.

2 Small deeds are great in the eyes of the small, and great deeds are small in the eyes of the great.

3 Saif al-Daula charges the army with the burden of his own zeal, which numerous armies have proved incapable of bearing,

4 And he demands of men what he has in himself—and that is something which (even) lions do not claim.

5 The longest-living of birds, even the eagles of the desert, the young ones and the old ones of them, offer (themselves as) ransom for his armoury;

6 It would not harm them that they were created without talons, seeing that his swords and hilts have been created.

Metre: *ṭawīl*.
This celebrated ode was dedicated to the Ḥamdānid Saif al-Daula on his recapture of the frontier-post of al-Ḥadath in 343/954 after it had been burned in 337/948 by Bardas Phokas, see *Encycl. of Isl.*[1], II, 187.

1. Note the *jinās* and *mulā'ama*.
2. Note the *ṭibāq* and *mulā'ama*.
3. For *l-jaisha* 'Azzām reads *l-nāsa*.

5. For *l-malā* the variant *l-falā* is recorded.
6. This verse may also be construed as a question.

❖ **شوْقي:**

٢٩ شوقى

١ آذارُ أقبـلَ قُـمْ بنـا يا صاحِ حيِّ الربيع حديقة الأرواح

١٦ مَلِكُ النبات فكلُّ أرضٍ دارُه تلقاه بالأعراس والأفراح

١٧ منشورةٌ أعلامُه من أحمرٍ قانٍ وأبيضَ في الربى لمّاح

١٨ لبست لمقدمه الخمائل وشيَها ومرحْنَ في كنفٍ له وجناح

١٩ يغشى المنازل من لواحظ نرجسٍ آناً وآناً من ثغور أقاح

٢٠ ورؤوسِ منثورٍ خفضْنَ لعزّه تيجانَهنّ عواطرَ الارواح

٢١ الوردُ في سُرُرِ الغصون مفتَّحٌ متقابلٌ يُثنى على الفتّاح

29 SHAUQĪ

1 March has arrived; stand up with us, companion; greet the spring, the garden of the spirits,

16 (March) the king of the plants—a whole earth is his abode, receiving him with marriage-feasts and rejoicings,

17 His banners of deep crimson and gleaming white spread amongst the hills.

1. For *ṣāḥi* (=*ṣāḥibu*) see Wright, II, 89A.

10. Note the amusing *jinās*.
11. A *human* songbird contrasted with the actual songbirds in the garden.

13. A pretty description of the "veiled virgins of the bush".
21. Note the *jinās*.

وقد اختار الدكتور عيد الدحيات في العدد الماضي من مجلتنا هذه قصيدة غزليّة بديعة لجميل بُثيْنة من العصر الأمويّ وترجمتها لنيكلسون، وأختار بدوّري هنا قصيدة "أمويّة" أخرى ترجمها تلميذه آربري، لكنّ هذه المرّة من الأندلس. وهي تَضُوع عطرًا وعشقًا، وفيها يتغنّى ابن زيْدون بمعشوقته ولّادة بنت المُستكفي. هذه هي، تليها الترجمة الإنجليزيّة، مع الحواشي:

❖ ابن زيْدون:

١٨ ابن زيدون

١ إنّي ذكرتُك بالزهراء مشتاقًا ... والأفق طلقٌ ووجهُ الارض قد راقا

٢ وللنسيم آعتلال في أصائله ... كأنّما رقّ لي فآعتلّ إشفاقا

٣ والروض عن مائه الفضّيّ مبتسمٌ ... كما حللتَ عن اللبّات أطواقا

٤ يومٌ كأيّام لذّاتٍ لنا آنصرمت ... بتنا لها حين نام الدهرُ سرّاقا

٥ نلهو بما يستميل العينَ من زَهَرٍ ... جال الندى فيه حتّى مال أعناقا

٦ كأنّ أعينَه إذ عاينت أرقى ... بكتْ لما بي فجال الدمعُ رقراقا

٧ وردٌ تألّق في ضاحي منابته ... فآزداد منه الضحى في العين إشراقا

٨ سرى ينافحه نيلوفرٌ عبقٌ ... وسنانُ نبّه منه الصبح أحداقا

٩ كلّ يُهيج لنا ذكرى تشوّقنا ... إليك لم يعدُ عنها الصدرُ أن ضاقا

١٠ لو كان وفّى المنا في جمعنا بكم ... لكان من أكرَم الأيّام أخلاقا

١١ لا سكّن اللّه قلبًا عنّ ذكرُكمُ ... فلم يَطِرْ بجناح الشوق خفّاقا

١٢ لو شاء حَمْلي نسيمُ الريح حين هفا ... وافاكمُ بفتىً أضناه ما لاقى



١٣ لا علقى الأَخْطَرَ الأَسْنَى الحبيب إلى ... نفسى إذا ما آقتنى الأحبابُ أعلاقا

١٤ كان التجازى بمحض الودّ من زمن ... ميدان أنسٍ جرينا فيه إطلاقا

١٥ فالآن أَحْمَدُ ما كنّا لعهدكمُ ... سلوتمُ وبقينا نحن عُشّاقا

18 IBN ZAIDŪN

1 Indeed I remembered you yearningly as you were in al-Zahrā', when the horizon was clear and the face of earth was shining,

2 And the breeze had a languor in its evening hours as if it had pity for me, and so languished out of compassion,

3 And the garden smiled, disclosing its silver water, as if you had loosened collars from the upper breasts.

4 A day like the days of pleasure for us now departed—we passed the night (like) thieves of that (pleasure), whilst fortune slept,

5 Diverting ourselves with eye-catching flowers, the dew running over them till they bent their necks,

6 As if their eyes, beholding my sleeplessness, wept for my condition, and the tears wandered glistening.

7 A rose shone in its sunburnt bed, and noonday glowed more intensely to the sight on account of it.

8 A nenuphar passed, redolent, embracing it, a slumberer whose eyes dawn had wakened.

9 Everything stirred in us a recollection making us long for you, a recollection which the breast was yet too constricted to hold.

10 If only death had fulfilled our union with you, it would have been the most generous of days.

11 May God not give rest to a heart visited by your remembrance, and it did not fly on the fluttering wings of yearning!

12 Had the zephyr's breath when it blew wished to transport me, it would have brought to you a youth emaciated by what he had encountered.

13 Not my most precious and prized possession, beloved of my soul —if lovers can be said to acquire possessions—

14 Would be fair recompense for the pure love in a time spent in the garden of intimacy, where we roved at will.

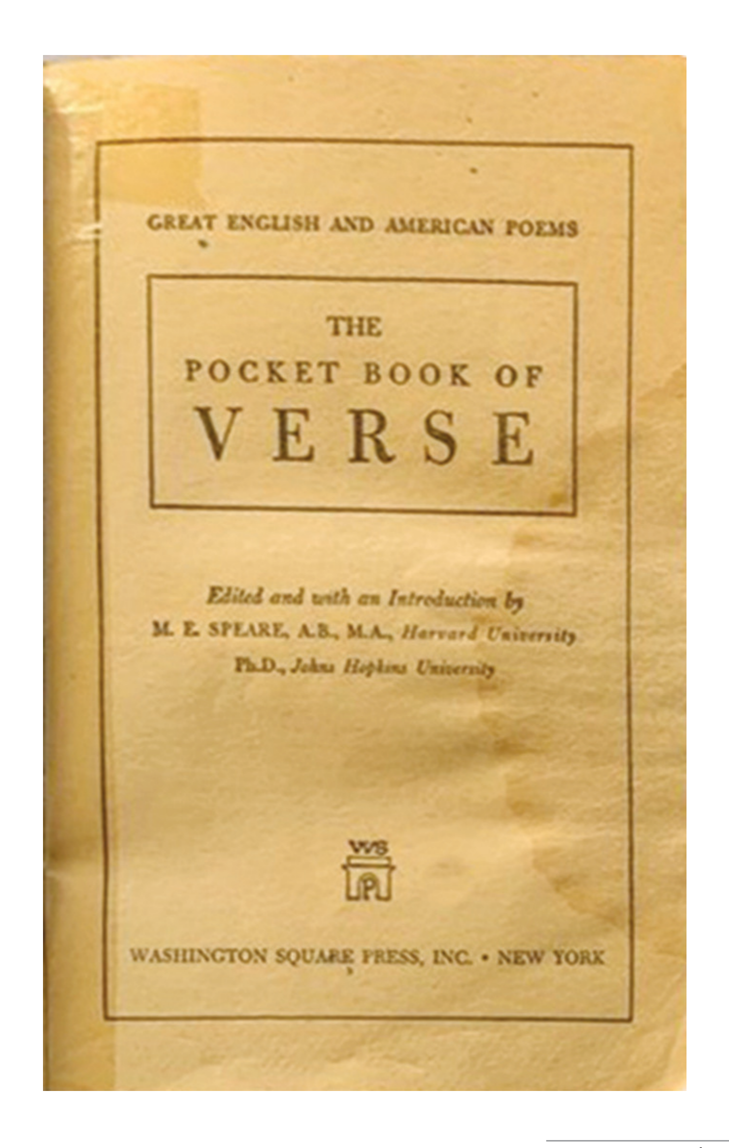
15 And now I praise God for the time we spent together, for which you have found consolation, whilst we have remained (true) lover.

1. "In al-Zahrā'": a fashionable quarter of Moorish Cordova.
2. Note the *jinās* (*al-ishtiqāq*).
3. The silver stream is compared with Wallāda's silvery throat.
4. Note the *ṭibāq* between *yaumun* and *bitnā*.
6. Note the *jinās* (*al-mushābih*).
7. Note the *jinās*.

كلمة أخيرة: كلّ هذه الترجمات المُتقنة، ومثيلاتها، تستحقّ كلّ إشادةٍ وتقدير؛ لكنّها، طبعًا، تطمس أيّ فروقٍ في الأساليب، وحتى في تطوّر اللغة عبّر العصور. فلا عجب أن جاء الطليان بمقولتهم المشهورة «المُترجم خائن» Traduttore, traditore؛ مع الاعتذار لكلّ المُترجمين الذين ينهضون بدوّرٍ حضاريّ عظيم، والذين يبذلون جهودًا مُذهلة حتى يُنصفوا النصوص الأصليّة، فلا يَضيعَ روْنقُها ولا لوْنها ولا نكهتُها المُميّزة، ولا سيّما حين يتصدّوْن لترجمة الشعر.

السونيتة التاسعة والعشرون لوِلْيَم شَيكسبير وترجمتها العربية

جعفر عبابنة*


GREAT ENGLISH AND AMERICAN POEMS

THE
POCKET BOOK OF
VERSE

Edited and with an Introduction by
M. E. SPEARE, A.B., M.A., *Harvard University*
Ph.D., *Johns Hopkins University*

WASHINGTON SQUARE PRESS, INC. • NEW YORK

* عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

النص الأصلي

WILLIAM SHAKESPEARE 13

XXIX

When, in disgrace with Fortune and men's eyes,
I all alone beweep my outcast state,
And trouble deaf heaven with my bootless cries,
And look upon myself, and curse my fate,
Wishing me like to one more rich in hope,
Featured like him, like him with friends possest,
Desiring this man's art and that man's scope,
With what I most enjoy contented least;
Yet in these thoughts myself almost despising—
Haply I think on thee: and then my state,
Like to the Lark at break of day arising
From sullen earth, sings hymns at Heaven's gate;
For thy sweet love rememb'red such wealth brings
That then I scorn to change my state with Kings.

الترجمة

حينَما أكونُ قليلَ الحظِّ مَخْزِيًّا بأَعْيُنِ الرّجالِ

أبكي وحيدًا يَأْسيَ وسوءَ المآلِ

وأُزْعِجُ السماءَ الصمّاءَ، سُدًى، بنداءاتي

وأندبُ قَدَري حينَ أنظرُ إلى ذاتي،

متمنيًا أن أكونَ مِثْلَ امْرِئٍ ذي حُظْوَةٍ في الحياةِ،

وأبدوَ للناس مِثْلَهُ تمامًا، كثيرَ الأصدقاءِ؛

راغبًا فيما عِنْدَ غَيْرِيَ من فُرَصٍ أو مهاراتٍ،

وأن أَنالَ مُتَعَ الحياةِ بلا مُنَغِّصاتٍ؛

وبينَما تَنْتابُني هذي الهواجِسُ التي أَمْقُتُها

يَعْرِضُ طَيْفُكِ في خيالي فيصبحُ حالي

مِثلَ قُبَّرَةٍ تَنْهَضُ في مَطْلَعِ الضِّياءِ،

مِنَ الأرضِ الكئيبةِ تَشْدُو في أعالي السَّماءِ؛

لِأَنَّني، بذِكْرِ حُبِّكِ العَذْبِ، أغْتَني،

فلا أُبَدِلُ بحاليَ حالَ الأمراءِ



التحول الحضاري للترجمة: الواقع والتحديات في العالم العربي

طَرُوب الخيّاط *

إن بروز الترجمة مجالاً متميزًا للبحث العلمي كان له تأثيرٌ بالغ في عدد من مجالات المعرفة disciplines منذ نهاية السبعينيات من القرن الماضي. وقد تضاربت الآراء حول إمكانية تصنيف الترجمة كفرع مستقلٍّ للمعرفة، فتعبيرُ interdisciplinary المعني بتداخل حقول المعرفة وتقاطعها وفقًا لسنيل هورنبي مُنْديه Snell-Hornby هو الأفضل في الوقت الحاضر. وقد أوضح مانديه Munday كيف اتَّخذت الترجمة طابعًا يتسم بنهج يضم عدة فروع للمعرفة تُزيل الحواجز وتعكس مدى تبادل المعرفة في مجتمعات ثرية بالمعرفة. وهذا النهج يتحدى طرق التفكير التقليدية من خلال التفاعل مع آفاق جديدة للثقافات والاستجابة لها.

بدأ هذا النهجُ الذي أسهم في تأسيسه مجموعة من الباحثين بالتبلور في العقود الأخيرة الماضية، إذ عُـدَّت الترجمة أساسًا للتواصل الإنساني والحضاري، وازداد الاهتمامُ في الوقت الحاضر بذلك. وكان تطورُ الوسائل الإلكترونية في تسعينيات القرن الماضي –فضلاً عن أثرها في العولمة– عاملاً أساسيًّا في جذب الأنظار إلى قضية التواصل بين الثقافات وتعزيز قضايا "الهوية".

* أستاذ مساعد- كلية اللغات والاتصال، قسم الترجمة- الجامعة الأمريكية في مادبا.



وقد ظهرت دراسات حول الترجمة ودورها وما ينبغي أن تكون عليه، وتأسست مجلاتٌ جديدة من أجل هذا الموضوع وهيئاتٌ دولية كالجمعية الأوروبية للترجمة، كما برزت ميولٌ واتجاهات مختلفة لتحديد إطارٍ لدراسات الترجمة، منها نظرية سكوبوس Skopos لكاتارينا ريس وهانز فيرمير Katharina Reiss and Hans Vermeer التي تعنى بتتبع مقاصد ونوايا القائمين على الترجمة.

وما يتصل بتعزيز "الهوية" كان من أهم الجوانب التي رُكّز عليها. فازدواجيةُ التمسك بالثقافة الأصلية أو "هوية النص الأصلي" والإقبالُ على اقتباس الثقافة التي تفرضها عمليّة الترجمة على النص المنتج يفرضان صراعًا بين هذين الأمرين؛ فإمّا أنْ يُتخلى عن هوية النص الأصلي الذي يضم تراثًا حضاريًّا أو أن يُتمسك به.

أشار عالمُ اللغويات فريدريتش شلايميخر Friedrich Schleiermacher إلى هذا التعارض الثقافي في بداية القرن التاسع عشر بقوله: "إما أنْ نَدعَ القارئَ بسلام ما أمكن ونُحضر الكاتب إليه، أو أن ندع الكاتبَ بسلامٍ ما أمكن ونُحضر القارئ إليه". ثم جاء لورنس فينوتي L. Venuti باستراتيجيته في نظريته عن "التوطين والتغريب" Domestication and Foreignization انتقادًا لمسرح نظرية الأنجلو- أمريكان Anglo-American الأدبية، ودعا إلى "مقاومة" من المترجمين، وقد تمتعتْ آن ذاك باهتمام كبير.

جاءت هاتان الاستراتيجيتان في إطارِ دراساتِ الترجمة ما بعد الاستعمارية Post-colonialism إذ تعدت التركيز على إشكالية إيجاد البدائل اللغوية إلى أخذ الظواهر السياسية وتباينات القوى في العالم بعين الاعتبار، وكانت مغايرة لنظريات الترجمة التقليدية السائدة. وقد أشار فينوتي إلى فكرة "اختفاء المترجم"، وجَذَب الأنظار إلى الجوانب الاجتماعية والسياسية والتوجهات الفكرية والأيديولوجية والتاريخية، وركز على أمرين: أولهما السيطرة الثقافية للترجمة "التوطين" domestication التي توطن ثقافة الطرف المهيمن، وثانيهما استراتيجية "التغريب" foreignization في الترجمة التي تتحدى الطرف المسيطر وتفسح مجالاً للاختلاف اللغوي والثقافي:

- فالتوطينُ حجبٌ لكل ما هو دخيل على الثقافة والاستعاضة به بما هو مألوف في اللغة والثقافة، وهو ما يؤدي إلى تقليل الفروق الثقافية بين اللغتين، وإيجاد ترجمة شبيهة بالنص الأصلي؛ سلسة ومقبولة لأهل اللغة.

- أما "التغريب" فهو استراتيجية ترجمة النص وفقًا لهذه الفروق الثقافية، الأمر الذي يعزز ثقافة النص الأجنبي وهويته امتثالاً لمبدأ الأمانة في الترجمة. وهنا تكمن عقباتٌ وصعوباتٌ بالغة أمام المترجم تتمثل في الوقوف على مفترق طريق؛ فإما طمس هوية النص الأصلي أو تقديم صورة صادقة له.

وإذا ما قارنّا بين ترجمات لنصٍّ بعينه نجدها غيرَ متطابقة وتسودها اختلافات كبيرة. وذلك يعود أحيانًا إلى تعدد معاني الكلمة الواحدة والإشكاليات التي تنبثق من إيجاد المعنى المطابق أو المرادف Equivalence في اللغة المترجم إليها؛ على مستوى الكلمة أو ما يتعدى معاني الكلمات التي يتضمنها السياق، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة النصوص المشتملة على استعارات وتشبيهات وتعبيرات اصطلاحية في كلتا اللغتين.

عُدَّ هذا التوجهُ في دراساتِ الترجمة قصة نجاحٍ لما يسمى بالتحول الحضاري والثقافي -وفقًا لسوزان باسنيت Susan Bassnett - الذي أكد



وقد كان للعولمة دور مهم في التحول الحضاري لمسار دراسات الترجمة، لا سيما فيما يتعلق بترجمة الخطاب السياسي، وأدت إلى زيادة حجم الترجمة



ضرورة أخذ الظروف التي تمارَس فيها الترجمة بعين الاعتبار في حالِ كان النص هو الأساس لا السياق، وهو ما أدى إلى تحرير الترجمة من النظرية الأدبية وعلم اللغويات وصولاً إلى تأسيس حقلٍ معرفي مستقل. وقد حظي بمزيدٍ من اهتمام الباحثين المنتمين إلى عهد ما بعد البنيوية Post-structuralism، إذ طُرحت تساؤلات حول "علاقات القوة" Power Relations حتى بدأت تلعب دورًا مهمًّا في عملية الترجمة.

وقد كان للعولمة دور مهم في التحول الحضاري لمسار دراسات الترجمة، لا سيما فيما يتعلق بترجمة الخطاب السياسي، وأدت إلى زيادة حجم الترجمة. فإذا تطرقنا إلى عملية الترجمة في مجال الإعلام، وفي رواية الأخبار خاصّةً؛ نجد أن الترجمة تشكل عنصرًا ضمن منظومةٍ معقدة تحكمها الدوافع الأيديولوجية والفكرية والتوجهات السياسية المختلفة. ووفقًا لباسنيت وبلسا تمر الترجمة بسياقٍ معقد من العمليات التي تنتقل بها المعلومات من لغةٍ إلى أخرى، وتتعرض أثناءها إلى التحرير وإعادة الكتابة وإعادة صياغة مفاهيم في سياقٍ وخطابٍ جديد يصبح فيهما التمييز بين النص الأصلي والنص المستهدف لا معنى له، وفقًا للخطوط العريضة للقنوات الإعلامية ووكالات الأنباء على اختلاف مذاهبها، وتتم عملية "تغريب" واسعة

لكثير من المفاهيم والمصطلحات، ومن أمثلة ذلك استخدام تعبير Fundamentalists الذي تُرجم إلى العربية بما يسمى "الأصوليون"، وهو مصطلح غربي يحمل في ثناياه أيديولوجيات سياسية، وتتداوله وسائل الإعلام وتتبناه على نطاق واسع منذ عقود بدون تمحيص.

وكما هو معلوم، فإن قرارات وتصريحات سياسية في سياق الإعلام تُتخذ على أساس النصوص المترجمة، سواء من العربية إلى اللغات الأخرى أو العكس. وهذه الترجمات تتم -كما ذكرنا آنفًا- وفقًا لدوافع واستراتيجيات ممنهجة، وهو ما يؤدي في آخر المطاف إلى إيجاد واقعٍ آخرَ مختلف لا يعكس الحقيقة.

أمّا عالَمنا العربي فهناك محاولات وجهود في بعض الدول العربية للارتقاء بالترجمة إلى المستوى المنشود، وعلى رأسها:

- الجامعة المستنصرية في بغداد التي لها جهودٌ لا يمكن إنكارها، فقد ألّفتْ مئات الكتب في فن الترجمة.

- ومنها "المشروع القومي للترجمة" في جمهورية مصر العربية، الذي تبناه المجلس الأعلى للثقافة في مصر، وكان من أهم أهدافه أن ينقل إلى العربية أهم الإصدارات الحديثة في مجالات العلوم الاجتماعية والنقد الأدبي والفني والإنسانيات والثقافة العلمية، والخروج بأفكار ومقترحات من شأنها أن تسهم في تطوير هذا المشروع وتتخلص مما شاب التجربة من سلبيات، وإبراز الإيجابيات من أجل تذليل العقبات تمهيدًا لانطلاقة نوعية جديدة.

إن قرارات وتصريحات سياسية في سياق الإعلام تُتخذ على أساس النصوص المترجمة، سواء من العربية إلى اللغات الأخرى أو العكس

- وفي أبو ظبي، جاء مشروع "كلمة" لإحياء حركة الترجمة في العالم العربي كخطوة على الطريق، وهو مبادرة طموحة لدعم الحراك الثقافي الفاعل للمساهمة في خارطة المشهد الثقافي الإقليمي والدولي، كما يهدف إلى تأسيس نهضة علمية ثقافية عربية تشمل مختلف فروع المعرفة الإنسانية. وينظم مشروع "كلمة" فعاليات وأنشطة تتصل بالترجمة، وهو أمر بالغ الأهمية في هذا المضمار.

- ومنها أيضًا المنظمة العربية للترجمة ومقرها في بيروت، ومن ضمن أهدافها تحقيق قفزة نوعية وكمية في حجم نشاط الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية والعكس، في مختلف مجالات المعرفة والفكر الإنساني، والإسهام في إدخال العلوم في إطار الثقافة العربية المعاصرة.

وفي الأردن، كانت مؤسسة عبد الحميد شومان قد أسست جائزة سنوية تقديرًا لكتابٍ مترجم إلى العربية في فروع المعرفة الإنسانية الأدبية والعلمية، أو لكتاب مترجم من العربية إلى لغاتٍ أخرى يتناول الأثر العربي والإسلامي في مسيرة الحضارات،

لكنها توقفت للأسف لأسبابٍ لم يُعلن عنها.

وتُقدم بعض الجامعات الأردنية برامج بكالوريوس وماجستير لدراسة الترجمة، وتخرّج أعدادًا من الطلبة كل عام في هذا التخصص، ولكننا بحاجةٍ إلى إعادة النظر في أسس القبول فيه وإجراء امتحان قبول خاص يخضع فيه الطالب لتقويم شامل فيما يتعلق بمقدرته اللغوية والفكرية وموهبته التي تؤهله لخوض هذا المضمار والارتقاء به، وكذا إخضاع المترجمين إلى تقويم للحصول على إجازة لممارسة المهنة.

ولا ننكر وجود كفاءات عالية من المترجمين في الأردن، لكنهم يعدون استثناءً. وثمة عقبات حقيقية خارجة عن سيطرة جامعاتنا، وهي عزوف الطلبة الذين يتقنون العربية والإنجليزية إتقانًا تامًّا عن التقدم لدراسة هذا التخصص. والإشارة هنا إلى اللغة الإنجليزية فقط لأن الأمر ما زال محصورًا في جامعاتنا الأردنية في إطار هاتين اللغتين، ولم نصل بعد إلى مرحلة متقدمة تشمل لغات أخرى أسوة بجامعات الغرب كبريطانيا مثلاً.

إن الفكرة عن هذا التخصص مغلوطة وبحاجة إلى تصحيح؛ إذ يعتقد كثير من الطلبة أن انضمامهم لهذا البرنامج يتيح لهم الفرصة لتحسين مستواهم في هاتين اللغتين. وبعضُهم، خاصَّةً هؤلاء الذين يحصلون على علامات متدنية في امتحان الثانوية العامة، يظن أن برنامج دراسة الترجمة أسهل من سائر فروع المعرفة.

يبدو أن العصور الذهبية للترجمة في العالم العربي قد ولت، فوفقًا لتقارير منظمة اليونسكو فإن معدل ما يترجم سنويًا في العالم العربي قاطبةً يعادل خمس ما يترجم في اليابان

ومن الذين تركوا بصمة في هذا المضمار:

- الأستاذ رفاعة الطهطاوي الذي كانت له الريادة بوصفه مترجمًا في بناء الدولة الحديثة في تلك الحقبة التاريخية في مصر، فقد ترجم ببراعةٍ عددًا كبيرًا من الروايات والمؤلفات من الفرنسية إلى العربية، وكان نص الترجمة لا يقل روعة عن النص الأصل. وقد أسس في تلك الحقبة مدرسة الألسن التي كان يشار إليها بالبنان، وكان من أهدافها إعداد مترجمين في مختلف العلوم والفنون، وقد خرّجت كوكبة من التلاميذ الذين نبغوا وأبدعوا فكانوا أركان النهضة في عهد محمد علي باشا.

- الدكتور محمد العناني، أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، الذي وُصف بأنه أستاذ الترجمة بلا منازع، وكان له فضل كبير في ارتقاء هذا المبحث، ولكتابه "فن الترجمة" أهمية كبرى بلا شك.

- الدكتور محمد عصفور، أستاذ الأدب الإنكليزي، وهو من الرواد في الجامعة الأردنية. تعمق في الشعر والدراما والنقد الأدبي والأدب الأوروبي والأدب المقارن والأدب في القرون: الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، ناهيك عن إنجازاته



- الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا، المؤلف والرسام، والناقد التشكيلي، وقد ترجم كثيرًا من أعمال الأدب الإنكليزي والغربي إلى العربية، ومن أهمها ترجماته لشكسبير ولافونتين.

ويبدو أن العصور الذهبية للترجمة في العالم العربي قد ولت، فوفقًا لتقارير منظمة اليونسكو فإن معدل ما يترجم سنويًّا في العالم العربي قاطبةً يعادل خمس ما يترجم في اليابان. وإذا نظرنا إلى عدد الكتب المترجمة إلى العربية في العالم العربي منذ العصور القديمة نرى أرقامًا هزيلة مقارنة بما يحدث في الطرف الآخر من العالم. وأصبح في الوقت الحاضر تغليب المصالح الربحية والتجارية أمرًا سائدًا إلى حد ما؛ فقد ذَكر بعض المشاركين في أحد مؤتمرات الترجمة في تونس عام ٢٠٠٨م أن الترجمة في العالم العربي تعاني كثيرًا من الوهن والضعف وتتسم بالفوضى والعشوائية. فلا بد من تضافر الجهود على المستويات كلها، لأن الحاجة ماسة للنهوض بهذا الفن وإعادة صياغة هذا المفهوم.

يُعْقَدُ كثيرٌ من المؤتمرات المحلية والدولية حول

في الكتابة الإبداعية وفنون الخطابة والجدل والتذوق الأدبي. وقد حصل عصفور على: جائزة الكويت للتقدم العلمي لأفضل كتاب مترجم عام ١٩٨٣م، وشهادة جامعة فيلادلفيا تقديرًا لأعماله المتميزة في الترجمة إلى العربية عام ٢٠٠٤م، وجائزة الدولة الأردنية التقديرية في مجال الترجمة عام ٢٠١٢م. وله ما يزيد على واحد وثلاثين كتابًا مترجمًا في مختلف الموضوعات.

- الأستاذ عادل زعيتر، الذي كان يتقن التركية والفرنسية والإنكليزية والألمانية، وكانت معظم ترجماته عن الفرنسية تليها الألمانية، وقد تَرجم روائعَ في الشرائع والفلسفة وعددًا من مؤلفات المستشرقين المهمة، بلغ عددها سبعة وثلاثين كتابًا.



هذا الموضوع، وتُقدَّم إليها الأبحاث العلمية في مختلف جوانبه. لكنْ ثمة توجه مختلف في هذا السياق؛ فقد بدأت في السنوات الأخيرة الماضية بعضُ الجامعات في بريطانيا بعقد مؤتمرات على غير المألوف في هذا السياق؛ ألا وهو التركيز على منهجية تدريس جميع جوانب علم الترجمة في الجامعات والمعاهد:

- منها جامعة أستونِ Aston University في بيرمنغهام في المملكة المتحدة، إذ بدأت منذ عام ٢٠١٨م بعقد مؤتمر سنوي عن التحديات والفرص في تدريس الترجمة الكتابية والفورية، تقدم إليه البحوث العلمية التي تسهم في بناء منظومة متكاملة لتدريس مادة الترجمة في الجامعات.
- وكذا جامعة وستمينيستر University of Westminster في لندن في المملكة المتحدة التي تعقد مؤتمرًا كل سنتين حول مستقبل التعليم فيما يتعلق بمبحث الترجمة الكتابية والفورية.

وقبل أن أختم تَحْضُرُني -في سياق التدليل على أثر الترجمة الجيدة في القارئ- كلماتٌ خطَّها سماحةُ الدكتور عبد العزيز الخياط (رحمه الله) في تقديمه كتابًا ترجمه المرحومُ الدكتور فهمي شما من اللغة الإنجليزية إلى العربية بعنوان «عيسى يبشر بالإسلام»/ Jesus Prophet of Islam لمؤلفه الأستاذ محمد عطاء الرحيم، إذ يقول: "كعادته في دقته بالترجمة، وبراعته في صياغة العبارات وحسْن اختياره للكلمات، أدى إلى أن يزيل جفاف الترجمة، مما جعل القارئ حين يبدأ قراءة هذا الكتاب لا يستطيع أن يتركه حتى يتمه، فأضاف إلى عمق ما كتبه المؤلف وحسن تتبعه التاريخي وتسلسل أفكاره وجهده المبذول في المنهج العلمي الدقيق؛ أضاف رشاقةً في الأسلوب وإبداعًا في التعبير".

وأخيرًا، قد يكون ضربًا من الخيال أن ندعوَ إلى إنشاء دار ألسن على غرار ما فعله الطهطاوي رحمه الله. لكننا نطمح إلى تصور متكامل لإحياء هذا العلم وإعداد اللازم لمستقبل أفضل له وللمشتغلين به. وأول الغيث قطرة، فلْننثر البذرة وننتظر الحصاد.





زاوية

قراءة في كتاب

كتاب النبات للأصمعي

عبد المجيد نصير

«الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب» لفرحان بدري الحربي

حنين معالي

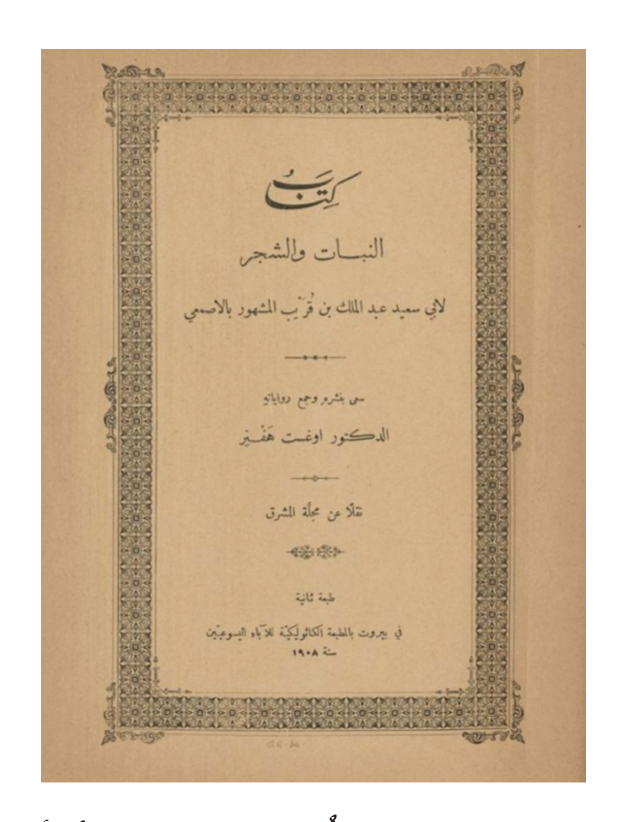


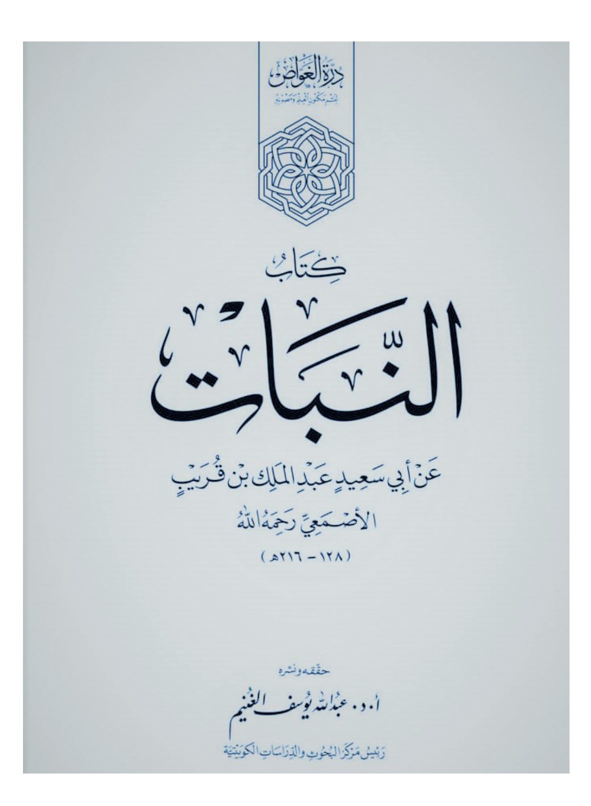
كتاب النبات للأصمعي

عبد المجيد نصير *

اهتم علماءُ الحضارة العربية الإسلامية بالنبات والفلاحة وما يتعلق بهما، ولهم في ذلك أعمالٌ كثيرة متنوعة؛ بعضُها كتبٌ مفردة مخصصة لمادة أو أمر ما، وبعضُها فصولٌ في كتبٍ أخرى. ومع أن الجزيرة العربية في أكثرها قاحلةٌ قليلةُ المطر وما يَنتج عنه من نباتٍ، احتوت اللغة العربية على عدد وافرٍ من أنواع النبات؛ أسماء وصفات ومعلوماتٍ موجزة أحيانًا ومفصلةً أحيانًا أخرى. وقد ذَكَرَ النديمُ في كتاب الفهرست عناوينَ لكتبٍ عدة، منها: كتاب الصفات للنضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ)، وهو يحتوي على الزرع والكرم وأنواع البقول والأشجار، وكتاب الزرع لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، وكتاب النبات والشجر لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ). كما ذَكَرَ كتبًا لأبي علي هشام بن إبراهيم الأنصاري الكرنبائي وهو من جيل الأصمعي، ولأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، ولأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١هـ)، ولأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، ولأبي حاتم سهل السجستاني (ت٢٥٠هـ)، ولأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ)، ولأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، ولأبي طالب المفضل بن سلمة (ت ٣٠٠هـ)، ولأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ). ولا نقصد في مقالتنا هذه الاستقصاء، ولكن نذكر منها ما يدل على الاهتمام الكبير بالنبات وأثر ذلك في المعاجم اللغوية المختصة والعامة.

* أستاذ الشرف- جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية؛ عضو مجمع اللغة العربية الأردني.





ومن الكتب التي خُصصت للنبات كتابُ أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، الذي حققه ونشره الدكتور عبد الله الغنيم (نشْر: مكتبة المثنى، ط١، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). كما سبق أنْ حققه ونشره أيضًا الدكتور اوغست هَفْنِر بعنوان "كتاب النبات والشجر"؛ وقد نُشِرَتْ طبعته الثانية سنة (١٩٠٨م)؛ طَبَعَتْها المطبعةُ الكاثوليكيةُ في بيروت.

وفي هذه المقالة نقدم عرضًا موجزًا لمحتوياته، مدللين على عظمة اللغة العربية، وعلى غنى الجزيرة العربية بما فيها من نبات، وعلى سعة علم الأصمعي ومقدرته على التأليف. ونحن نغرف من كتاب الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي (أستاذ اللغويات العربية في الجامعة الهاشمية) "مناهج التأليف المعجمي عند العرب". وقد استأذنته فأذن لي.

ذَكَـرَ الأصمعي في كتابه (٢٨٩) كلمةً راعى في ترتيبها نهجًا تسلسليًّا تصاعديًّا وفق مراحل نمو النبات. بدأ بنزول المطر، فظهور النبات، فارتفاعه...وهكذا:

"يقال: رأيتُ أرضَ بني فلانٍ غِبَّ المَطَرِ واعدةً حَسَنَة؛ إذا رُجِيَ خيرُها وتمامُ نَبْتِها في أوّلِ ما يَظهرُ النَّبْت". ويزيد: "ويقال: وَدَسَتِ الأرضُ وَدْسًا... في أوّلِ ما يَظْهَرُ نباتُها...". وأيضًا: "وَبَارِضُ النَّبْتِ أوّلُ ما يَبدو منه. ويقال إذا ظَهَرَ نباتُ الأرض: قد بَرَّضَتْ تَبْريضًا وتَبَرَّضَتْ".

وينتقل إلى مرحلة ارتفاع النبت فوق الأرض فيقول: "فإذا ارْتَفَعَ بارِضُ البُهْمى شيئًا فهو جَمِيم. فإذا ارْتَفَعَتْ وتَمَّتْ مِن قَبْل أنْ تَتَفَقَّأ فهي

الصَّمْعَاء". ويستشهد لذلك بقول ذي الرُّمّة:

كَسَا الأرضَ بُهْمَى غَضَّةٌ حَبَشِيَّة
وَصَمْعاءُ حتّى آنَفَتْهُ نِصالُها

والمرحلةُ الثالثة في حياة النبات تكون إذا امتدّ واتصل بعضُه ببعضٍ وغطى الأرض أو كاد أن يغطيَها: "ويقال: أرضُ بني فلان ناصيةٌ إذا اتّصل بعضُ نَباتِها ببعض. وإذا غطّى النباتُ الأرضَ أو كاد يُغطّيها قيل: اسْتَحْلَسَتِ الأرض، وأرضٌ مُسْتَحْلِسَة. قال ذو الرمة:

حتى كسا كلَّ مرتادٍ له خَضِلٌ
مُسْتَحْلِسٌ مِثْلُ عَرْضِ الليل يَحمُومُ"

والمرحلةُ التالية عندما يزيد طول النبات ويرتفع أكثر: "ويقال للأرض إذا طال نباتُها وارتفع: قد جَأَرَتْ أرضُ بني فلان. ومنه يقال: غَيْثٌ جُؤَر وجُؤَّرٌ إذا طال نَبْتُه وارتفع". وبعدها، يظهر النبات بجماله وحسنه ويملأ مكانه: "ويقال للأرض إذا حَسُنَ نباتُها وامتلأت: قد اعْتَمَّتْ، والنَّبْتُ وقتئذٍ مُكْتَهِلٌ وَمُعْتَمّ...قال الأعشى:

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ
مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ"

وتلي ذلك مرحلة خروج زهر النبت ونواره وثمره. ويشير إليها بقوله: "فإذا خَرَجَ زهرُه قيل: قد جُنَّ جُنُونًا...وَزَهْرُهُ وَزَهْرَتُه وَنَوْرُهُ وَنَوْرَتُه وَنُوَّارُهُ سواء؛ ومن ذلك نَبْتٌ مُنَوَّر...وَبُرْعُمُ الزَّهْرِ أَكْمَامُهُ...ويقال عند ذلك: قد أَخَذَ النَّبْتُ زَخَارِفَهُ وَزُخْرُفَه...".

وقد يبلغ النبات غاية النمو فيتراجع وتبدأ مقدمات اليُبس والذبول في الظهور الذي ينتهي إلى اليبس وتمام الجفاف. ويعبر عن ذلك فيقول: "ويقال: أَقْطَرَ واقْطَرَّ اقْطِرَارًا واقْطَارَّ أيضًا إذا تَهَيَّأَ النَّبْتُ لليُبْس، فإذا يَبِسَ قيل: قد تَصَوَّحَ تَصَوُّحًا وانْصَاحَ انْصِيَاحًا. فإذا تَمَّ يُبْسُهُ قيل: قد هَاجَتِ الأرضُ تَهِيجُ هِيَاجًا وَهَيْجًا وهَيَجَانًا. فإذا تَمَّ يُبْسُهُ...قيل له: اليَبْسُ واليَبِيس، وهو الجَفِيفُ والجَفُّ، والقَفِيفُ والقَفّ. وقال الراجز:

صَافَتْ يَبِيسًا وقَفِيفًا تُلْهِمُه
وَثَرَّ عَامَيْنِ وَحِبًّا أَسْحَمُه

وقال الآخر:

كَأَنَّ صَوْتَ خِلْفِها والخِلْفِ
كَسَحْفِ أَفْعى في يَبِيسٍ قَفِّ"

ومرحلةُ ما بعد اليبس هي الهشاشة والتحطّم وتساقط بعضه على بعض، يقول: "فإذا تَكَسَّرَ اليَبْسُ فهو الحُطَامُ وهو الهَشِيم. قال ابنُ أحمر:

يَتَبَّعُ أَوْضاحًا بِسُرَّة يَذْبُلِ
ويَرْعى هَشِيمًا مِنْ مُلَيْحَةَ باليا

...فإذا كَثُرَ ورَكِبَ بعضُه بعضًا فهو الثِّنُّ...فإذا اسودَّ النَّبْتُ مِنَ القِدَم فهو الدِّنْدِن. وقال الشاعر:

المَالُ يَغْشَى رِجالاً لا طَبَاخَ بِهِمْ
كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البالي"

ولا يفوته أن يفصل بين حطام الشجر ويبس البقل، فلكل نوع منهما اسمه. يقول: "وكلُّ حُطَامِ شَجَرٍ...فَهُوَ الدَّرِينُ إذا قَدُمَ وَكَثُر. قال عَمْرو بن كُلْثوم:

وَنَحْنُ الحَابِسُونَ بِذِي أُرَاطَى
تَسُفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينَا

(تَسُفُّ الدَّرِين: لا تَجِدُ غَيْرَه مَرْعًى). ويقال لِيَبِيسِ البَقْلِ وحُطَامِهِ: السَّفِيرُ، لأنّ الرِّيحَ تَسْفِرُه".

وتفرق العرب بين الأرض التي يكثر شجرها، والأرض التي يكثر كلؤها. يقول: "واللُّمْعَةُ مِنَ الأَرْضِ الكثيرةُ الكلأ...والعُقْدَةُ واللُّمْعَةُ مِنَ الأرض البُقْعَةُ الكثيرةُ الشَّجر...".

ويهتم الأصمعي بعد ذلك في أبوابٍ متفرقة بأسماء النبات ونوع أرضه وأوطانه في الجزيرة. ويبدأ بما يسميه أحرار البقول، أي ما يؤكل منها غير مطبوخ، أو ما رقّ منها ورطب، وما غلظ منها وخشن. يقول: "أَحْرَارُ البَقْلِ مَا رَقَّ وَعَتُقَ... وَذُكُورُ البَقْلِ ما غَلُظَ مِنْه. فَمِنَ الأَحْرَارِ: الذُّرَقُ وهو الحَنْدَقُوقُ، والبَقْلُ وَهُوَ قَتُّ البَرّ، والحُرْبُثُ، واليَنَمَةُ، والحَسَارُ، والسَّعْدَانُ، والذَّعَالِيقُ (والوَاحدُ ذُعْلُوقٌ)، والحَوْذَانُ، والحُرْفُ، والخِطْمِيُّ، وكَفُّ الكَلْب،...ولِحْيَةُ التَّيْسِ، والبَسْبَاسُ، والإِسْلِيحُ، والقُرَّاصُ، والجَرْجَارُ، والقُلْقُلانُ، والمُلاحُ، والحَمَصِيصُ (وهو بَقْلَةٌ حَامِضَةٌ تُجْعَلُ في الأَقِطِ)، والقَصِيصُ والإِجْرِدُّ (وَهُمَا شَجَرَتَا الكَمْأَةِ اللَّتَانِ تُعْرَفُ بِهِمَا)، وأنشد:

جَنَيْتُهَا مِنْ مُجْتَنًى عَوِيصِ
مِنْ مَنْبِتِ الإِجْرِدِّ والقَصِيصِ

وَمِنْ أَسْمَاءِ الذُّكُورِ: القُرَّاصُ، والخُزَامَى، والأُقْحُوَانُ، والحَرْشَاءُ (وَهُوَ خَرْدَلُ البرّ)، والنَّهَقُ، والكَحْلاءُ، واليَعْضِيدُ،...والمُرَارُ، والهَرَاسُ، والذَّنَبَانُ، والقُطْبُ (وَهُوَ مُرٌّ خَبِيثٌ أَشَدُّ مِنَ الحَسَك)، والذَّفِرَةُ، والكَرِشُ، والخُبَّازَى، والعِشْرِقُ، والحُمَّاضُ، والكُرَّاثُ، والعُنْصَلُ، والجَعْدَةُ، والحَزَاءُ، والأَيْهُقَانُ (وهو الجرْجِيرُ)، وَفَمُ الغَزَال، والعِهْنَةُ، والتُّرْعَةُ شَجَرَةٌ، والعُشَرُ...".

وينتبه إلى ما تأكله الإبل فيقول: "وَمَا كَانَ مِنْ أَحْرَارِ البَقْلِ وَذُكُورِهِ وَعَرْفَجِهِ سِوَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الخُلَّةِ فَهُوَ حَمْضٌ، إِلَّا الشَّجَرَ العِظَامَ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الخُلَّةِ وَلَا الحَمْضِ وَلَا الجَنْبَةِ. والجَنْبَةُ مَا كَانَ مِنَ العُشْبِ والشَّجَرِ والنَّبْت. والخُلَّةُ مِنَ العُشْبِ عندَ الإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الخُبْز، والحَمْضُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْم إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَدَمِ مَعَ الخُلَّة...والحَمْضُ مَا كانَ مَالِحًا، والخُلَّةُ ما لمْ يَكنْ فيه مُلُوحَة...ومِنْ أسماءِ الحَمْض: الرِّمْثُ، والقِضَةُ، والدَّغَلُ، والقُلامُ، والهَرْمُ. وَأَنْشَدَ للحَارِثِ بنِ وَعْلَة:

وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنَقٍ
وَطْءَ المُقَيَّدِ نَابِتَ الهَرْمِ

والضُّمْرَانُ، والنَّجِيلُ، والخِذْرَافُ، والعُنْظُوَانُ... والغَوْلانُ، والشَّعْرَانُ، والدُّعَاعُ (وهو شَبِيهٌ بالهَرْم)، والإِخْرِيطُ، والحُرُضُ (وهو الأُشْنَانُ)، والعَرَادُ، والطَّحْمَاء".

واهتم الأصمعي بالأرض التي يعيش فيها النبت؛ فمنه ما ينبت في السهل، ومنه ما ينبت في الرمل، ومنه ما ينبت في الحجاز، ومنه ما ينبت في نجد، وما كان من شجر، وما ليس من شجر. يقول: "وَمِمَّا يَنْبُتُ في السَّهْل: العَرْفَجُ، والغَضْرُ (وَاحِدَتُهُ الغَضْرَةُ)، والنُّعْضُ (واحدته نُعْضَةٌ)،

والأَفَـانـي (واحدته أَفَـانِـيَـةٌ)، والسُّطَّاحُ (واحدته السُّطَّاحَةُ)...والـرَّاءُ (واحدته رَاءَةٌ وَلَـهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ)، والشُّبْرُمُ، والسَّرْحُ، والعَرَارُ (وهو بُهَارُ البَرّ). وأنشد:

بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْـ
رَاءُ العَشِيَّةِ كَالعَـــرارَه

قال أبو عمرو بنُ العلاء: أحسنُ بيتٍ وُصِفَ به الألوانُ هذا البيت.

...ومِمّـا يَنْبُتُ في الـرَّمْلِ مِنَ الشَّجَر: الأَلَاءُ (الواحدُ ألاءة)، قال عبدُ الله بنُ غَنَمَةَ الضّبّيّ:

فَخرّ على الأَلَاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ
كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيـــلُ

والأُمْطِيُّ ولهُ صَمْغَةٌ يَمْضغُها العربُ، والغَضَا، والأَرْطَى ولها صمغة يمضغها العرب كما يمضغون الكُنْدُر، والعَلْقَى شَجَرٌ تَـدُومُ خُضْرَتُهُ بالقَيْظ، والمُصَاصُ شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الحِبَال، والرُّخَامَى نَبْتٌ في الأرض الرِّخْوَة لها عُرُوقٌ بيضٌ تَتْبَعُها الثِّيرَانُ تَحْفِرُ عنها فتأكُلها.

ومِمّـا ليس بشَجَرَةٍ: السَّبَطُ، والنَّصِيّ يكونُ في السَّهْل والرَّمْل، فما دام رَطْبًا فهو نَصِيّ، فإذا يَبِسَ فهو حَلِيّ، فإذا تَحَطَّمَ واسودَّ فهو الدَّوِيل. قال الرَّاعِي:

شَهْرَيْ رَبِيعٍ ما تَذُوقُ لَبُونُهُمْ
إِلَّا حُمُوضًا وَخْمَةً ودَوِيـــلا

وكلُّ ما اسْـوَدَّ وتَكَسَّـرَ فهو دَويـل، والـغَضْـوَرُ والصِّلِّيان (ومـن كلامهم: جَـذُّهُـمْ جَـذَّ العَـيْرِ الصِّلِّيانَةَ)، والعَسَالِيجُ نَبَاتٌ بيضٌ تُشَبَّهُ بالعُرُوق تَنْبُتُ لَهُ خُوصَة...

ومِنَ الشَّجَرِ العِضَاهُ وهو كلُّ شَوْكٍ يَعْظُم، ومِن أَعْرَفِ ذلك: الطَّلْحُ، والسَّلَمُ، والسَّيَالُ، والعُرْفُطُ، والشَّبَهُ، والسَّمُرُ، والكَنَهْبَلُ، وشَكِيرُ العِضَاهِ مَا بَدَا وَرَقُهُ صِغَارًا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ وهذا شجرٌ له شوك.

...ومِنْ شَجَرِ الحِجَاز: الغَرْقَدُ، والسِّدْرُ، فَمَا كانَ بَرِّيًّا فهو ضَالٌ، ومَا كانَ يَنْبُتُ في الأنهار فهو عُبْرِيّ، والعَوْسَجُ شَجَرَةُ المُصَع (الواحدةُ مُصَعَة)، واللَّصَفُ (الواحدة لَصَفَة)...

ومِمّا ينبت في جبالِ نجْد: الثَّغَامُ، والحُمَّاضُ. قال الجَعْدِيّ:

فَجَرَى مِنْ مَنْخِرَيْهِ زَبَـــدٌ
مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ الجَبَل

قال: له ثَمَرٌ أَبْيَضُ في حُمْرَة، شَبَّهَ به الزَّبَدَ مَعَ الدَّم. والبَشَامُ، والبُطْمُ (وهو الحَبَّةُ الخَضْراء)، والشِّرشِرُ، والقَتَادُ، والحَرْشَفُ نَبْتٌ خَشِنٌ له شوك، والعِكْرِشُ يَنْبُتُ في السِّبَاخ...

ومِنْ نَبْتِ جبالِ السَّراة: الشَّثُّ، والعَرْعَرُ (وهو السَّرْوُ)، والطُّبَّاقُ، والضَّبْرُ (وهو جَوْزُ الجَبَل؛ يُنَوِّرُ ولا يَعْقِد)، والمَظُّ (وهو الرُّمَّانُ البَرِّيُّ؛ يُنَوِّرُ ولا يَعْقِد). والنَّحْلُ يَأْكُلُ المَظَّ ويَجودُ العسل عليه. وأنشد أبو سعيدٍ الأصمعيّ:

يَمَانِيَةٌ أَحْيَا لها مَظَّ مَأْبِـــدٍ
وآلِ قَراسٍ صَوْبُ أَرْمِيَةٍ كُحْلِ

والقَانُ، والنَّشَمُ، والشَّوْحَطُ، والنَّبْعُ،...والسَّرَاءُ (مَمْـدُودٌ)، والصَّـوْمُ، والحِثْيَلُ، والـرَّنْفُ (وهو بَهْرَامَجُ البَرّ)، والظَّيَّانُ (وهو يَاسَمِينُ البَرّ)،

والشُّوعُ (وهو شَجَرُ البَان). قال أُحَيْحَةُ بن الجلاح:

مُعْرَوْرِفٍ أَسْبَلَ جَبَّـــارَهُ

بِحَافَتَيْه الشُّوعُ والغِرْيَفُ

والغِرْيَفُ شَجَرٌ خَوَّارٌ مِثْلُ الغَرَب، والخَزَمُ، والعُتْمُ (وهو الزَّيتونُ البَرّيّ). قال الجعديّ:

تَسْتَنُّ بالضِّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ

هَيْلَانَ أو نَاضِرٍ مِنَ العُــــتْمِ

والرَّتمُ، والصَّابُ شَجَرٌ بالغَوْر إذا قُطِعَ منه شيءٌ خَرَجَ لَبَنٌ، فإذا أَصابَ العَيْنَ حَلَبَها".

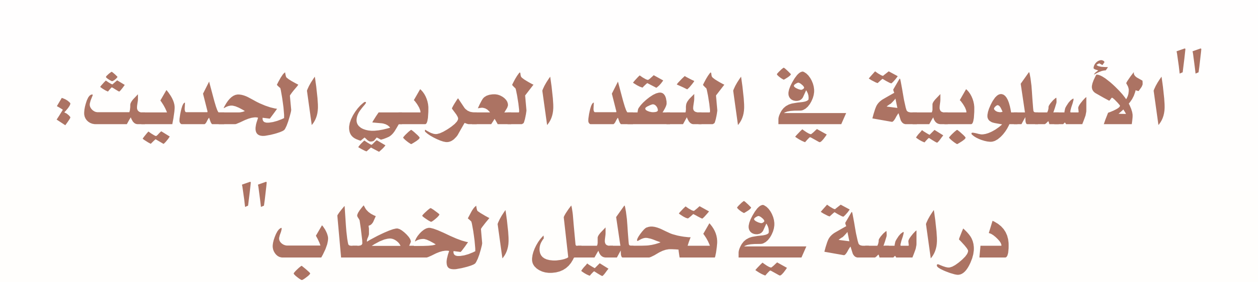
ويذكر الأصمعيُّ في نهايات الكتاب ما فاته من صفات النبات وأنواع الشجر في مختلف أجزاء الشجر وأحوال النبات، وبزوغه بعد المطر، وظهور الورق واخضراره وإدراك الثمر؛ ونزول المطر على البقل بعد يُبسه، ووقوع ورق الشجر. ثم يذكر أنواعًا من النبات والشجر فاته ذكرها مثل نبات: الفصفصة، وشجر المخاطة والثغر والرند (وهو الآس)، والعبهر وهو النرجس، والسُّمسَق، والعُجرم، والتين، والأراك، والإسحل، والعشرق، والشبرق، والشري (شجر الحنظل)، والتنضّب، والمرْخ، والأثل، والطرفاء، والحلفاء، والسّاسَم، والميّس (شجر تؤخذ منه الحبال)، والخِروع والينبوت (وهما بعُمان)، وكذلك الغاف، والعراد، والعوف.

ونُنْهي بما نقله الأصمعيُّ عمّن سمّاه الثقة الذي حدّثه رُؤْبَةُ بن الحجاج عن المدة الزمنية التي يحتاج إليها النبات لكمال نموه منذ بذره إلى استوائه: "وحدثني الثقة عن رؤبة بن الحجاج أنه قال: شَهْرٌ ثَرَى، وشَهْرٌ ترى، وشهر مرعى، وشهرٌ استوى. وذلك أن المطر إذا وقع الأولُ منه فبلَّ الأرضَ تمكث الأرضُ ترابًا رطبًا؛ فهو قوله (ثرى). ثم تُنبت الأرض فيُرى النبات، فهو قوله (ترى). ثم يكون في الشهر الثالث (مرعى)؛ ثم يستوي النبتُ في الربيع ويكتهل".

خاتمة

لقد نشأتُ ببيت فلّاح، وعملتُ مع أبي -رحمه الله- في الأرض، وكانت الأعشاب مشكلة للزرع الشتوي منه والصيفي؛ كما أن حافات الطرق الزراعية وجنبات الوديان كانت تزخر بأنواع النبات، الذي كان يبدو في الربيع سجادة ملونة بنسج طبيعي، في غاية الجمال! وتعلمتُ أسماء عدد منها، إلا أني أجد أكثر الأسماء الموجودة في كتاب الأصمعي غريبةً عليّ ولا أعرف نباتها. وربما كان لبعضها أسماءٌ عندنا غير ما عُرِفَتْ به. على أن ما في هذا الكتاب وأمثاله هو تحدٍّ لعلماء النبات في كليات الزراعة عندنا، لكي يحددوا كل نبات ما هو، واسمه العلمي، ومن ثَمّ يعيدون التصنيف والترتيب.

وأقدّم شكري للأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي، أستاذ اللغويات العربية (المتقاعد) من الجامعة الهاشمية، على ما بذله من جهدٍ عظيم في كتابه "مناهج التأليف المعجمي عند العرب" (الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع). كما أشكره على سماحه لي بالنقل مما جاء في هذا الكتاب لمقالتي هذه.



"الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب" لفرحان بدري الحربي

حنين معالي *

يهتم هذا الكتاب بدراسة الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث والوقوف على المرتكزات التي تعتمد عليها، والحديث عن أنواعها، وصلتها بالتراث والنظريات اللغوية الحديثة، وأهم الكتب النقدية التي تناولتها بالدراسة بين النظرية والتطبيق.

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول يتحدث فيها المؤلف عن الأسلوبية نظريًا وتطبيقيًا، وهي فصول مترابطة. ويهتم المؤلف في الفصل الأول المعنون بـ"في الأسلوبية وتحليل الخطاب (مدخل تنظيري)" باستقراء المعالم النظرية للأسلوبية، ومحاولة تحديد المصطلح، فيعالج في المبحث الأول علاقة الأسلوبية بالنص الأدبي، ومفهومها، وتحديد مصطلحها، وبيان محتواها الفكري.

فالأسلوبية تهتم بدراسة النص الأدبي، بوصفها منهجًا في دراسة الأدب ونقده، وهي متأثرة ببعض العلوم الأخرى التي تدرس النص الأدبي؛ إذ إنها تدرس خصائص الأسلوب، والصور الشعرية، والنعوت، والمجازات، والإيقاع وما فيه من جناس وأصوات، ولغة الشعر، إضافةً إلى الغموض، وتوظيف الأساطير، والحِكَم، والأمثال، وهي بذلك تتصل اتصالاً وثيقًا بمباحث البلاغة العربية القديمة.

* محاضر غير متفرغ- الجامعة الأردنية

وتأثرت الأسلوبية في التطور النقدي بمراحله المختلفة، وكذلك بقضية سعي النقد لكي يصبح علمًا له ضوابطه المعرفية، فكل هذا يؤثر في الفكر، والظاهرة الإبداعية واللغوية التي يتشكل منها الأدب، ويؤثر ذلك في التواصل بين كلّ من الأديب والمتلقي.

والأسلوبية ارتبطت بالتراث وبالنظريات النقدية واللغوية الحديثة، ويتمثل ذلك في البلاغة العربية قديمًا وبعض القضايا التجديدية مثل: نظريات دي سوسير في الدراسة اللسانية، ومخطط ياكبسون في عملية الاتصال، إضافةً إلى ظهور المنهج البنيوي في أعمال رولان بارت، ونظرية التناص التي تبلورت على يد جيرار جانيت، وجوليا كريستيفا وغيرها.

ويتحدث أيضًا عن مفهوم الأسلوبية، واتجاهات البحث الأسلوبي، فيذكر مفهومها عند ريفاتير الذي يرى أن الأسلوبية "علم يُعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية، وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورًا خاصًّا".



وهذا التعريف يمثل اتجاهين من اتجاهات الأسلوبية في النقد المعاصر، التي تهتم ببنية النص ولغته، فالأول يُعَدُّ أسلوبية بنيوية، والثاني أسلوبيةً وظيفية، ومن هذا يمكن ملاحظة أن الأسلوبية وسيلة في دراسة الأدب في النقد الحديث مع أنها قبل ذلك لم تكن تقتصر في دراستها على الأدب، بل تدخل في مجال الدرس اللساني.

كما تُعرَّفُ الأسلوبية بأنها: "علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي أو الأدبي، خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره وتتعدى مهمة تحديد الظاهرة إلى دراستها بمنهجية علمية لغوية، وتُعِدُّ الأسلوبَ ظاهرةً لغويةً -في الأساس- تدرسها ضمن نصوصها".

ونفهم مما سبق أن الأسلوبية تنطوي على جانبين هما: الجانب اللغوي والجانب الأدبي، ودراسة النص الأدبي من خلال مكوناته اللغوية، ولهذا فإن الاهتمام باللغة في الدراسة الأسلوبية أدى إلى ظهور مدرستين في دراسة الأسلوب هما:

- **الأسلوبية التعبيرية:** وهي أسلوبية اللغة، وتقوم بدراسة علاقات الشكل مع التفكير،

وتهتم بالأثر، وما يتعلق بعلم الدلالة.

- **الأسلوبية الفردية :** وهي أسلوبية أدبية تنقد الأسلوب، وتقوم على دراسة علاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها واستعملها، بمعنى أنها تتناول التعبير وعلاقته مع المتكلمين، أي أنّ التعبير الذي يستخدمه المبدع بما فيه من انزياح لغوي يجب أن يكون مقبولاً لدى المتلقي.

ثم ينتقل المؤلف في هذا المبحث إلى الحديث عن الظاهرة الأسلوبية: طرق تحديدها ومناهج دراستها، فيجد أن تنوع اتجاهات الأسلوبية يؤدي إلى تنوع مناهجها، ولكنّ دارسي الظاهرة الأسلوبية، على الرغم من نظرتهم إليها من زوايا مختلفة، يشتركون في انطلاقهم من النموذج التواصلي في التحليل، لذلك يقسّم المؤلّف المفاهيم المقترحة للأسلوبية بناءً على ذلك إلى أربع مجموعات:

أ- الأسلوب تعبير عن شخصية الكاتب، ويكون الأسلوب اختيارًا ضمن الإمكانات اللغوية المتاحة، ويعبر عن كيفية الكتابة المتميزة لمؤلّف معين، ويمتد إلى أسلوب الجنس الأدبي والثقافات والعصور.

ب- الأسلوب وأثره في المتلقي، وينتج عن الخصائص الداخلية للنص: وهو مفهومٌ تأثيري عاطفي للأسلوب، يقترب من التصور البلاغي القديم، وقد رُبطت مقولات الأسلوب بالآثار الإقناعية الثلاثة: التعليم، والإمتاع، والتهييج.

ج- الأسلوب تقليدٌ لواقعٍ ما في النص: وهو مفهومٌ انعكاسي محاكاتي للأدب، ويبحث عن العلاقة بين الأسلوب والموضوع الذي يعبر عنه النص بمعنى النص الذي يتحدث عن الطبقات الاجتماعية في العصور الوسطى، أما في القرن العشرين فتكون الأسلوبية الوظيفية القائمة على التداولية هي النوع الأسلوبي الأقرب إلى المحاكاة بحيث تهتم بطبيعة اللغة وبيئتها وسياقها، وهذا أدى إلى ظهور ما يسمى بأسلوب العصر أو الفترة.

د- الأسلوب تأليفٌ خاص باللغة: وهو الاقتصار على دراسة النص من الناحية اللغوية دراسة موضوعية مع إقصاء الحديث عن الكاتب والمتلقي.

وهذا النمط التحليلي في دراسة الأسلوبية والنظر إليها من زوايا مختلفة أدى إلى ظهور مناهج متعددة وهي:

١- **أسلوبية الانزياح:** وهي الفرق بين اللغة الأدبية واللغة المعيارية النحوية؛ فأسلوبية الانزياح تمثل خرقًا للغة المعيارية مثل: الاستعارة.

٢- **الأسلوبية الإحصائية:** تقوم بإحصاء العناصر اللغوية في النص، وتهتم بالعلاقات الكمية مع مثيلاتها من النصوص الأخرى، وكذلك مقارنة علاقات الكلمات وأنواعها في النص، ويحاول الباحث الأسلوبي في هذا النوع من الأسلوبية أن يتصف بالموضوعية، ويبتعد عن الذاتية والانطباعية من خلال الإحصاء، وبهذا يرى الأسلوبيون أن الإحصاء يجعل منها منهجًا موجهًا، ويمكن الإشارة إلى أن الجداول الإحصائية ليست مقصودة لذاتها،

ولكن القصد هو الوصول إلى نتائج تعمل على اكتشاف السمات اللغوية التي يتميز بها النص. وأُضيف أن هذه الأسلوبية يكثر استخدامها عند الحديث عن المقارنات بين النصوص، أو الحديث عن التكرار مع وجود بعض العقبات التي قد تواجه الإحصائي في عمله، ولا سيما في اللغة العربية. والمنهج الإحصائي يدخل في علاقات جدلية مع بقية المناهج الأسلوبية.

٣- **الأسلوبية السياقية:** وهي تقوم على الانزياح الداخلي في النص بعيدًا عن سياقه الخارجي. ولكني أجده -عندما يتحدث عن ريفاتير- يناقض ما قاله سابقًا؛ إذ إن ريفاتير يرى أنها تهتم بالخصائص اللغوية التي تتنوع بتنوع السياق والبيئة، فهذا يعني أنه يرى أن للنص سياقين: داخلي وخارجي، وأنّ كلًّا منهما يؤثر في الآخر.

ويعرض المؤلف في المبحث الثاني من الفصل الأول فكرة الأسلوبية وتحليل الخطاب، ويبين أن تحليل الخطاب والوصول إلى سماته الفنية والنوعية، تتعاون فيهما مجموعة من العلوم وهي: البلاغة، والأسلوب، والشعرية، إضافةً إلى الألسنية، وهذه العلوم تَدرس الأبنية داخل الخطاب؛ فالبلاغة تركز على الأبنية الدلالية السطحية، بينما تركز الأبنية الأسلوبية على الأبنية المخزونة في ذاكرة المتلقي التي تتناسب مع معتقداته، أما الشعرية فهي تهتم بأنواع الخطاب والاتصال المعرفي والوجداني، بينما الألسنية تكوّن أبنية إضافية على الأبنية الأساسية في الخطاب.

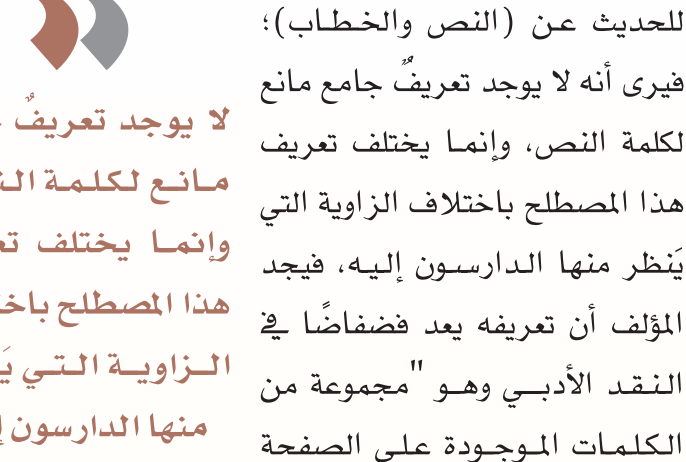
> **يبين أن تحليل الخطاب والوصول إلى سماته الفنية والنوعية، تتعاون فيهما مجموعة من العلوم وهي: البلاغة، والأسلوب، والشعرية، إضافةً إلى الألسنية**

وبعد ذلك ينتقل المؤلف للحديث عن قضية ترتبط بالنقاط السابقة وهي أنها علوم متجاورة تسهم في تحليل الخطاب، ويجد من خلال دراسته لهذه العلوم (الأسلوبية والبلاغة والشعرية) أنها متداخلة بحيث يصعب الفصل بين مفاهيمها المحددة؛ فالبلاغة أحيانًا تكون جزءًا من الأسلوبية، وأحيانًا تكون هي الأسلوبية ذاتها، وكذلك فإن الشعرية تشبه العلاقة بين البلاغة والأسلوبية؛ إذ إن هناك ما يسمى "البلاغة الشعرية". وكل هذه العلوم تدرس الانزياحات في النص للبحث عن السمة الجمالية والتعبيرية فيها.

ويتحدث عن "البلاغة الجديدة" وهي دعوة ظهرت تحاول وضع علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، وهذا المصطلح جاء لوصف معانٍ مختلفة مرتبطة بحقل البلاغة، أو لوصف حقول معرفية أخرى، فهي فكرة حديثة تجاوزت هدف علم البلاغة الأول في الاهتمام بالإقناع أو الكشف عن الخصائص الجمالية في النص، وتسعى البلاغة الجديدة لأن تكون علمًا يشمل حياة الإنسان كلها، وتتضافر مع التداولية والمناهج اللسانية لتطوير وإنضاج هدفها الأساسي وهو الإقناع.

وخصص المبحث الثالث من الفصل الأول

للحديث عن (النص والخطاب)؛ فيرى أنه لا يوجد تعريفٌ جامع مانع لكلمة النص، وإنما يختلف تعريف هذا المصطلح باختلاف الزاوية التي يَنظر منها الدارسون إليه، فيجد المؤلف أن تعريفه يعد فضفاضًا في النقد الأدبي وهو "مجموعة من الكلمات الموجودة على الصفحة بعناصره السياقية والتاريخية التي يفترض أن تحيط به".



لا يوجد تعريفٌ جامع مانع لكلمة النص، وإنما يختلف تعريف هذا المصطلح باختلاف الزاوية التي يَنظر منها الدارسون إليه

تمتلك وجودًا خاصًّا، بينما يجد المؤلف أن اللسانيين ينظرون إليه على أنه مصطلح مرادف للكلام، ويظهر هذا واضحًا عند (دي سوسير).

ثم ينتقل إلى الحديث عن وجود علاقة احتواء بين الخطاب والنص، ويظهر ذلك في التعريف الذي ذكره للخطاب، فالخطاب "مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة؛ أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق". وظهر من خلال التعريف أن الخطاب أوسع من النص، بل إنه يشتمل على مجموعة من النصوص داخله.

ويمكن القول إن سبب صعوبة الوصول إلى تعريف واحد للنص هو اشتماله على المستويات اللغوية الأربعة في بنائه، وما يتعلق باتصاله بعواملَ خارجيةٍ منها المتلقي.

ويُفرق المؤلف بين علم النص ونظرية النص فيشير إلى أن موضوع علم النص الدلالة الكلية التي تنتج عن نص بوصفه بنية لغوية. أما نظرية النص فهي نقد مباشر للغة النص؛ أي مراجعة لعملية الخطاب، وتتخذ عملية النقد النصي في نظرية النص اتجاهين هما: الأول استاتيكي (ثابت)، ويتمثل ذلك بالنظر إلى جماليات النص، والثاني النقد الديناميكي المتحرك الذي يركز على العلاقات بين العناصر النصية، وارتباط النص بمفهوم التناص.

ويبين المؤلف مفهوم الخطاب، ويرى أن مفاهيم مصطلح الخطاب متعددة وفق تصورات المهتمين به؛ فالسيميائيون ينظرون إلى الخطاب على أنه مجموعة من العلامات أو العبارات الملفوظة التي

ويتميز الخطاب بأمور متعددة: التسلسل في الأفكار والألفاظ، إضافةً إلى خضوعه إلى قواعد الجنس الأدبي، وله أسلوبه الفردي الخاص الذي يميزه عن غيره. ويجب أن يبنى الخطاب على موضوع، وأن يكون مفهومًا، وإذا لم يحقق الخطاب ذلك لا يسمى خطابًا، وهذه الشروط تجعل دراسة الخطاب دراسة علمية.

ويفرق المؤلف بين النص النقدي والخطاب النقدي، فالنص النقدي: هو النص الذي يبثه الناقد بقصد الاتصال بالقارئ محملاً بنشاطه الفكري والثقافي، مما يتصل بعالم الإبداع الأدبي، ويتعلق بأدبية الأدب بهدف إثارة أفكار القارئ التي تتعلق بالموضوع الأدبي.

وأما الخطاب النقدي: فهو جملة من النصوص

المتعلقة بموضوع أدبية الأدب التي يحاول المتكلم مطابقتها في عالمه الفكري والحضاري؛ إذ تكون في سياق معرفي واحد، تؤكد شمولية الثقافة الأدبية من خلال الأحداث التي تؤلف موضوعَ النصوص المشتركَ بينها في أذهان الجماعة الثقافية التي يتصدى الناقد لمحاورتها.

وهذا يعني أن النص النقدي هو ما يكتبه الناقد عن النص الإبداعي الذي يكتبه المبدع، بينما الخطاب النقدي نقدٌ يوجهه ناقدٌ لنقْد ناقدٍ آخر. وقد يكون الخطاب النقدي متنوعًا ومن أنواعه الخطاب النقدي الأسلوبي.

وفي المبحث الأخير من الفصل يتناول قضية (تحليل الخطاب)، ومن المناهج التي ظهرت لتحليل الخطاب: (١) المنهج السيميائي الذي يقوم بدراسة نظام محدد من أنظمة التوصيل بواسطة الإشارات والعلامات، إضافةً إلى دراسة المعاني والدلالات في النسيج اللغوي. (٢) المناهج اللسانية. وتداخلُ الاتجاهات اللسانية مع السيميولوجيا هو الذي يؤدي إلى تداخل مصطلح الخطاب ومصطلح النص في الدراسات المختلفة؛ لأن المناهج اللسانية الأولى اهتمت بلسانيات الجملة، بينما اللسانيات الحديثة هي لسانيات النص الذي هو في ذاته خطاب.

أما الفصل الثاني المعنون بـ"وصف المقدمات التنظيرية في الجهود الأسلوبية العربية- القواعد والمنطلقات" فيلقي الضوء على المادة النظرية والتطبيقية التي وضعها النقاد الأسلوبيون العرب، ويهدف المؤلف في هذا الفصل إلى التعرف على مناهجهم ومنطلقاتهم في كتبهم المنشورة عن الأسلوبية، والخطوات الإجرائية في ممارسة المنهج الأسلوبي، ومدى تطابقها مع المادة النظرية التي تحدثوا عنها في كتبهم. ويحاول المؤلف الكشف عن رؤية الناقد الأسلوبي العربي في كتابه: هل هي حداثية متجددة أم تأصيلية تسير على فكرة الموروث البلاغي أو النقد العربي؟

ويلاحظ من خلال اطلاعه على الكتب التي تتحدث عن الأسلوبية أن بعضًا منها يجمع بين التنظير والتطبيق، وقد وضعها في المبحث الثاني الذي يتحدث عن المنحى التطبيقي، أما في هذا المبحث فقد اقتصر على الكتب التي تتحدث عن المادة النظرية، ومنها:



يتميز الخطاب بأمور متعددة: التسلسل في الأفكار والألفاظ، إضافةً إلى خضوعه إلى قواعد الجنس الأدبي، وله أسلوبه الفردي الخاص الذي يميزه عن غيره. ويجب أن يبنى الخطاب على موضوع، وأن يكون مفهومًا



١- **"علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"** لصلاح فضل: يؤكد فضل حداثة علم الأسلوب ضمن قائمة العلوم الإنسانية، ولكنه ليس بدعة عصره، فله جذور في الثقافة العربية؛ إذ إنه على صلة بعلم البلاغة، ولكن ظهور علم الأسلوب أدى إلى الكشف عن عجز البلاغة في دراسة الأساليب الحديثة. ويحدد موضوع علم الأسلوب وهو دراسة الأساليب ذاتها، كما تَتَبَّعَ مراحل تطوره، وركز على أهمية

اعتماده في الدراسات التطبيقية، إضافةً إلى أنه يرفض النَّسْخ من الآخر وتقليده، فيمكن أن نأخذ علم الأسلوب من الآخر ولكنْ يجب أن يكون للباحث فرصة الاختيار أو الإضافة بما يتناسب مع ذوقه الجمالي، ويتناسب مع الخصائص المميزة للغة والفن.

٢- "**الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية**"، لسعد مصلوح: يحاول المؤلف تطبيق منهج الأسلوبية، ولكنه يسعى إلى إضفاء الموضوعية على دراسة الأدب أسلوبيًّا، لذلك فقد توجه إلى استخدام المنهج الإحصائي في دراسته، ويركز على جانبين: قضايا التحليل الأسلوبي في المنهج اللساني، ومشكلات البحث الأسلوبي النظرية والتطبيقية في الأدب، وهو بهذا الكتاب يريد أن يساهم في ازدهار البحث الأسلوبي، والعمل على تمكينه ضمن إطار المعرفة المعاصرة.

ثم انتقل المؤلف إلى مبحث آخر عنوانه: "التنظير الافتتاحي في الدراسات التطبيقية"، ويشتمل على مجموعة من الكتب منها:

١- "**خصائص الأسلوب في الشوقيات**"، لمحمد الهادي الطرابلسي: اعتمد المؤلف في كتابه على رصد مسألة الشيوع، والتواتر، والاختفاء من خلال استخدام المنهج الإحصائي في رصد الظاهرة الأسلوبية عن طريق دراسة لغوية أسلوبية تنطلق من دراسة النص نفسه والوصول إلى مرتكزاته البنائية دون الحاجة إلى معرفة حياة الشاعر، وهو بذلك متأثر بالمنهج البنيوي. ويستخلص الكاتب مادته النظرية عن الأسلوبية من التطبيق؛ فالتطبيق سابق للتنظير عنده.

٢- "**قراءات أسلوبية في الشعر الحديث**"، لمحمد عبد المطلب: يهدف المؤلف من خلال دراسة مجموعة من النصوص الشعرية إلى الاهتمام بالصياغة اللغوية لهذه النصوص، ويسعى إلى الربط بين الظواهر التعبيرية، ولكن القارئ يجد أنه يستخدم أكثر من منهج لتحليل هذه النصوص بحسب طبيعتها، ومن النصوص التي طبق عليها شعر (فاروق شوشة)، ورصد التكرار فيه، ودرس ديوان الشاعر (أحمد عبد المعطي حجازي) في ضوء بنيةٍ تراثيةٍ هي الوقوف على الطلل وغيرها، وهو يهدف في هذا الكتاب إلى التجديد.

أما الفصل الثالث فهو "المعرفة الأسلوبية بين التأسيس والممارسة"، وينقسم إلى مبحثين: الأول يتحدث عن: (بنية المعرفة الأسلوبية في الخطاب النقدي العربي)، فالبنية المعرفية للأسلوبية في النقد العربي تتسم بـ"تزامنية النشأة وتراكمية التأليف" بمعنى أن هذه المؤلفات الكثيرة التي تحدثت عن الأسلوبية لا نستطيع من خلالها أن نصل إلى كيفية نشأتها وتطورها، فكلُّ هذه الخطابات النقدية تتحدث عنها بوصفها شيئًا جديدًا وتحاول تعريفها، فيجد المؤلف في هذه الكتب: اختلافات في المصطلح، وتكرارًا لبعض القضايا المتعلقة بالأسلوبية ولا سيما قضية التجذير والحداثة، إضافةً إلى اختلاف الآراء حول دواعي استخدامها في الدراسة. وكل هذه الأمور سببها عدم اعتماد هذه الكتب بعضها على بعض، فكان العمل يتصف بالفردية.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فهو "الأسلوبية ودراسة الأدب"، ويشير إلى محور العلاقة بين منهج البحث الأسلوبي والنظرية الأدبية؛ فالنظريةُ الأدبية -مثل البنيوية وغيرها- تهتم بدراسة مبادئ الأدب وأصنافه ومعاييره، وتركز على الأعمال الأدبية وتميز بينها.

ثم ينتقل المؤلف إلى المحور الثاني الذي يدرس فيه (منطلقات الأسلوبية وحداثة الخطاب النقدي)، وهذه المنطلقات هي التي يقوم عليها المحور النظري للأسلوبية، وبالتالي تؤثر في المضمون، وهي:

- **الموضوعية:** وترتبط بالمنهج الإحصائي في الجهود الأسلوبية العربية، وهي تقابل الذاتية والانطباعية عندهم، وظهر هذا عند (سعد مصلوح) في كتابيه: "الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية"، و"في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية"، وهذا المنهج يميز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي تتصف بالأسلوبية، والسمات اللغوية التي تظهر عشوائيًّا في النص.

وترتبط الموضوعية في الدراسة الأسلوبية بعمليات تجريبية مقارنة بين النصوص الأدبية التي تنتمي إلى عصر واحد مثلاً أو جنس أدبي واحد. وتصبح الموضوعية صفة للأسلوبية عندما تختص بدراسة الأدب، بحيث تدرس شعرية النص أو أدبيته، وعندها تقتصر الدراسة الأسلوبية على دراسة النص بحد ذاته.

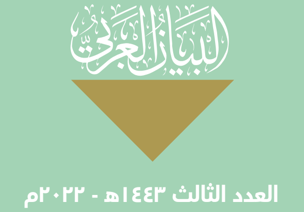
وهناك من ينظر إليها من خلال الأثر الذي يحدثه النص الأدبي في القارئ، وبعضهم يرى أنها تتحقق في مفهوم الأسلوبية القائم على دراسة النص الأدبي من منظور علمي تخصصي؛ إذ إنها تهتم باللغة التي يتشكل منها العمل الأدبي، وهي بهذا تبتعد عن الذاتية والانطباعية.

ويمكن القول إن النقاد العرب في دراستهم النظرية للأسلوبية، كانوا يركزون على صفة الموضوعية، وكذلك الأمر بالنسبة للتطبيق، فالموضوعية هدف يسعى النقاد العرب إلى تحقيقه، والوصول إليه من خلال تطبيق المادة النظرية على النصوص الأدبية.

- **الشكل والبنية:** وهذا بسبب انتماء الأسلوبية إلى حقل المناهج النصية المتأثرة باللسانيات، والبنيوية، والاتجاهات الشكلية، فالأسلوبية تدرس النص الأدبي نفسه، وما يتكون منه من كلمات، وطريقة التعبير، فهي تدرس نظام اللغة في استخدامها الأدبي، فلذلك ظهر فرعان منها هما: أسلوبية التعبير، وأسلوبية الفرد، ومن خلال اطلاع المؤلف على المؤلفات العربية عن الأسلوبية وجد أنها اهتمت بالشكل والبنية نظريًّا وتطبيقيًّا.



أدب وشعر



محمود درويش: رسالة من السجن

محمد شاهين *

ذَكر أدموند ليش عالمُ الأنثروبولوجيا المعروفُ أن في حياتنا نماذجَ يكرر البشرُ فعلها (Recurring Patterns). ويتفوق هذا على المقولة الشائعة أن التاريخ يعيد نفسه، بمعنى أن الإنسان هو صاحب الوصاية على الفعل لا الزمن فقط كما نظن. ولمزيد من الإيضاح، هذه رسالةُ محمود درويش تقول لنا من بين ما تقول: ما أشبه اليوم بالأمس!

تعنى هذه المداخلة برسالةٍ نادرة كتبها محمود درويش في تموز (يوليو) ١٩٦٥م من سجن "معسياهو" بعد نقله من سجن عكا، فسجن "الجلمة". وشكرًا جزيلاً لشقيقه أحمد رفيقِ دربه، الذي وفر لي نص هذه الرسالة وأذن لي بنشرها. هي رسالةٌ شخصية في المعنى الأول، ولكنها في معنى المعنى رسالةُ "الشخصية"؛ شخصية محمود درويش "المبدع"، تكتب أسوأ الظروف بأحسن الكلام؛ نثرٌ يغتلي بروح الشعر، قد يغري بالمقارنة بين البدايات والنهايات. وهذا نصها:

من د/ دافيد اليعزر - قائد منطقة الشمال (والذي أصبح بعد ذلك رئيس الأركان للجيش)

١- على محمود درويش أن يظل في سكناه في حيفا

٢- لا يحق له أن يغير مكان سكناه بدون موافقة خطية من قائد الشرطة

٣- لا يترك حيفا بدون موافقة خطية من قائد الشرطة

٤- مضطر دائمًا أن يبلغ قائد الشرطة عن المكان الذي يسكن فيه

٥- عليه أن يثبت وجوده يوميًا في أقرب محطة شرطة

٦- عليه أن يظل في بيته من غروب الشمس بساعة وحتى شروقها.

أعطي في تاريخ ٢٩/٥/٦٩

* أستاذ شرف- الأدب الإنجليزي، الجامعة الأردنية.

عزيزي أحمد:

لا أدري إذا كان أحد يعرف أني مسجون في سجن معسياهو منذ يوم الخميس، فالاتصال مقطوعٌ، بالطبع، بيني وبين العالم خارج الأسلاك والجدران. ومنذ خمسة أيام، لم أسمع أخبارًا ولم أقرأ صحفًا، ولا يصلني شيء من أخبار العالم.

نمت ليلة واحدة في سجن عكا لعلها من أسوأ ليالي عمري. وقد منعني منظر الطعام الذي قدموه لي من الاقتراب منه. شبعت قرفًا! وفي الليل اضطررت إلى خلع ملابسي لعلني أغري النوم بمعانقتي ساعة واحدة على الأقل! وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي أيقظني البوليس.. لم أغسل وجهي لأني لا أحمل منشفة تنشف الماء والعرق! وضعوا سلسلة حديدية حول زنديّ.. ونقلوني مقيدًا إلى سجن "الجلمة". بقيت هناك أربعة أيام، لم أحلق ذقني ولم أغسل أسناني، ولم أقرأ إلّا كتابًا واحدًا سُمِحَ لي بإدخاله معي هو كتاب "همس الجنون" لنجيب محفوظ، -بالمناسبة، لم يعجبني!-

يوم الخميس ظهرًا، نقلوني مع عشرات السجناء بزنزانة متجولة إلى هنا.."معسياهو". ولعل هذا السفر، حتى الآن على الأقل، أتعس سفر في حياتي.. حيث يُربط كل سجينين بسلسلة واحدة.. ويتساوى القاتل والسارق والمجرم ... والشاعر!!

كنت أتصور، على ضوء ما قيل لي عن هذا السجن، أني سأكون في كيبوتس. أوهام! أخذوا ملابسي المدنية، وأعطوني ملابس خاصة بالسجن ليست على قياسي بالطبع، وحذاءً كبيرًا يرغمني على المشي ببطء وصعوبة. باختصار، إن منظري في بدلتي الآن قد يثير الحزن أكثر من السخرية، ولكني أحاول، بدافع الكبرياء، أن أسخر أكثر مما أحزن. لا أدري لماذا تذكرت هيئة تشارلي شابلن في فيلم "الأزمنة الحديثة"!!

هنا، أستطيع أن أسمع الأخبار من "صوت إسرائيل" باللغة العبرية بواسطة مكبر الصوت. وأستطيع قراءة بعض الصحف. وأقطع الوقت بالقراءة، فقد سمحوا لي بإدخال جميع الكتب والأدوات الخاصة. الطعام نظيف وجيد ولكن النوم متعب. وأسوأ ما في الأمر أن الظروف تحول دوني ودون الكتابة. حتى الآن لم أكتب إلا هذه الرسالة وأنا أجلس القرفصاء وصيحات السجناء من حولي. ولكني أفكر كثيرًا وعميقًا، وأحيانًا أغرق في التفكير خاصة حين أودّع الشمس الغاربة. بالمناسبة، لأول مرة أشهد ميلاد الشمس لأنني أفيق باكرًا!

أشتاق إليكم كثيرًا كثيرًا.. وكل شيء صغير عندكم يحمل الآن معنًى كبيرًا كبيرًا. لا أستطيع إلا أن أقول لكم إني أحبكم أكبر حب، وإن كان هذا «الاعتراف» لا لزوم له! وشوقي للبيت يفوق كل حد. وأتصور أن عودتي إليكم بعد ٥٤ يومًا ستكون عيدي الأول تموت أمامه جميع «أعيادي» التي أراها الآن في غاية التفاهة. طمئنوا سهام أن ديونها ستسدد حال عودتي مع الفائدة! وأرجو من أحدكم أن يسافر إلى حيفا ويتصل بتوفيق فياض وسائر الأصدقاء والزملاء ويعتذر لهم عن عدم كتابتي لهم لأنه لا يسمح لي بكتابة أكثر من رسالة كل أسبوعين.

أخبروا الجميع أن أجمل هدية تصلني هي الرسائل. فأرجو أن يكتبوا لي.

لدي الكثير مما أقول.. فلنرجئه إلى مناسبة أخرى. وتحيات قلبية إلى جميع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء. لا أستطيع أن أعدد أسماء الجميع، لأن الأمر يحتاج إلى كتاب كبير جدًّا.

ملاحظة: الزيارة مرة في الأسبوعين.

وإلى اللقاء

محمود

تموز ٦٥



- تغتني هذه الرسالة بالكبرياء فتغالب دواعي الحزن بالسخرية.
- وتقرأ كل شيء بوعي جدلي ويقظة حاضرة.
- وتفضح تناقض دعاوى الآخر "المتحضر" الذي يتساوى لديه القاتل والشاعر، فيقيدهما بسلسلة واحدة.
- وتنأى "حتى في هذا النص العائلي" عن العادي والكتابة عند درجة الصفر، فإذا قال: "أحبكم أكبر حب" استدرك بأن ذلك "اعتراف" لا لزوم له.
- وتقرن العادي بالدعابة لتكسر عاديته، فإذا أشار إلى دَيْن شخصي مستحق قرنه بذكر "الفائدة" تظرّفًا.
- وتحمل نبرته الخاصة الاستدراكية "بالمناسبة".
- وتنبئ عن ولعه بالرواية، ولا سيما أنه يفتقد القراءة كما يفتقد أشياءه الشخصية اليومية.
- وتفيض بروحٍ حميمية خاصة نحو الأسرة والجيران، وروحٍ جماعية، والتزامٍ ثابت نحو الأصدقاء والزملاء.
- إنها رسالة من البدايات التي تملك مفتاح تفسير كثير من النهايات.

ألن يكون لافتًا أن يرد في هذه الرسالة قوله: "بالمناسبة، لأول مرة أشهد ميلاد الشمس لأنني أفيق باكرًا"، وقوله بعد ذلك: "ساعة الشمس في السجن" في قصيدته: على هذه الأرض ما يستحق الحياة!

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى تبليغين لاحقين لزمن الرسالة بشأن الإقامة الجبرية التي فُرضت على محمود درويش عام ١٩٦٩م وعام ١٩٧٠م، والشكرُ موصول لشقيقه أحمد الذي زودني بنسختي التبليغين المرفقين بجانب نسخة الرسالة نفسها:

التبليغ الأول:

من دافيد اليعازر- قائد منطقة الشمال (الذي أصبح فيما بعدُ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي).

١- على محمود درويش أن يظل مقيمًا في سكنه في حيفا.

٢- لا يحق له أن يغير مكان سكنه بدون موافقة خطية من قائد الشرطة.

٣- لا يترك حيفا بدون موافقة خطية من قائد الشرطة.

٤- عليه أن يبلغ قائد الشرطة عن المكان الذي يسكن فيه.

٥- عليه أن يثبت وجوده يوميًّا في أقرب محطة شرطة.

٦- عليه أن يظل مقيمًا داخل بيته من بعد غروب الشمس بساعة إلى حين شروقها.

أعطي بتاريخ ٢٩/٥/١٩٦٩م

والتبليغ الثاني أعطيَ في ١٨ شباط ١٩٧٠م وهو موقع من مردخاي غور قائدِ منطقة الشمال الذي أصبح فيما بعد رئيسًا لأركان الجيش

الإسرائيلي، ويحمل النص نفسه.

علاوة على ما تقدم، فإن الرسالة خير شاهد على قصة الرحيل عن الوطن التي عاشها محمود درويش طيلة حياته، دون أن يصل إلى تصالح معها، رغم كل المبررات التي توافرت لإقناعه أن ذلك الرحيل كان ضرورة قصوى، بل كان بدًّا لا بد منه. وهذه تفاصيل القصة:

حصل محمود درويش على منحة من الاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٠م للدراسة في أحد معاهد موسكو الأكاديمية. ولم يمض على وجوده في موسكو وقت طويل حتى اتصل محمد حسنين هيكل بالسفير المصري لكي يمنحه فيزا دخول مصر والعودة إلى القاهرة بدلاً من العودة إلى حيفا. يذكر لنا محمود درويش كيف أنه دهش عندما أفاق من نومه صباحًا ليجد أنه يرى النيل بعينيه لأول مرة، ويروي لنا الشاعر كيف أنه امتلأ بالغبطة والسرور عندما تجول في شوارع القاهرة ليرى لأول مرة في حياته الشوارع والمحلات التجارية وكل ما حوله من سبل العيش الخارجية تنطق بالعربية بدلاً من العبرية..

بعد القاهرة تنقل محمود درويش في عواصم عربية مختلفة، وكانت أطول إقامة له في بيروت إذ شهد الاعتداء الإسرائيلي عليها عام ١٩٨٢م، وأصر على الصمود فيها مع من صمدوا إلى آخر لحظة من رحيل (إسرائيل) عنها، وكتب ما كتب عن بيروت وصمودها البطولي الذي صاغه من تجربته الشخصية فيها. ورغم أن الرحيل هيأ له الفرصة لأن يصبح في مصاف الشعراء العالميين؛ لم يتصالح مع قراره بالرحيل ألبتة. سألته مرة عن الأشعار أو المقاطع الشعرية التي يحلو له أن يستذكرها بشكل خاص، فأجاب أن القارئ هو صاحب الحق في هذا الأمر. فقلت له أن ذلك المقطع، إن أذن لي، في قصيدة «أبي» و«هو» و«نهاني عن السفر» هو ما يقف في الصدارة. ولم يعترض على ذلك. من الواضح أن هذا المقطع ظل يشكل خلفية دراما الرحيل التي لم تفارقه في المنفى.

وفي ثمانينيات القرن الماضي كتب مقالةً مؤلفة من صفحةٍ في صحيفة عربية تصدر في باريس يعيد استذكار قصيدة «أبي» التي كتبها قبل الرحيل عن الوطن. ومن أطرف ما في الموضوع برمته، أن المقالة وجدت سبيلها إلى محمد سعيد الصكار، الفنان العراقي المرموق، الذي كان على اتصال وثيق بالشاعر في باريس. بعث الفنان إلى صديقه الشاعر بلوحة صغيرة، وفي اعتقادي هي أجمل هدية يمكن أن يتسلمها محمود درويش في هذا السياق القلق. على الأقل، وهذا ما يرد في اللوحة، مع أن نقله هنا بأحرف عادية لا يمكن أن يغني بأي حال من الأحوال عن المتعة البصرية الهائلة التي تعكسها جمالية خطوط الأبيات الخمسة التي تشكلت شعرًا على يد الفنان الخطاط:

لو كان أنبأه القدر
أن سوف تغدو راية
ألقًا يشع على البشر
أبدًا تسافر في القلوب
لما نهاك عن السفر

وفي أسفل اللوحة من الجهة اليمنى كتب الصكار بخط أصغر وبلون أخف بياضًا من الأطر المذكورة، ما يلي:

فعزاء جميلاً أيها

القرار العظيم لغناء الأرض

وفي الجهة اليسرى اسم الفنان محمد سعيد الصكار وتوقيعه.

وليس ما يمكن أن نقوله هنا سوى أن الصكار أحس بالوجع الذي عبر عنه محمود درويش في مقالته إحساسًا صادقًا جعله يعبر عن أصدق تعبير وأجمله.

لا بد أن الشاعر وجد في اللوحة بلسمًا شافيًا لذاكرة عصية على النسيان، تعود إلى العام ١٩٧١م عندما اتخذ قراره بالرحيل. واللوحةُ باقة ورد للأب الغائب والابن الحاضر، تعزيهما أن قرار الرحيل الذي أضحى مثار جدل واسع وأزمة حمل محمودٌ وزرها طيلة حياته، كان كما تخيله الصكار قرارًا عظيمًا «لغناء الأرض».

وهذه بعض المقتطفات من المقالة المذكورة آنفًا:

«لم نكن على موعد... كان يعرف أني لن أعود. وكنت أعرف أنه لن يسافر.

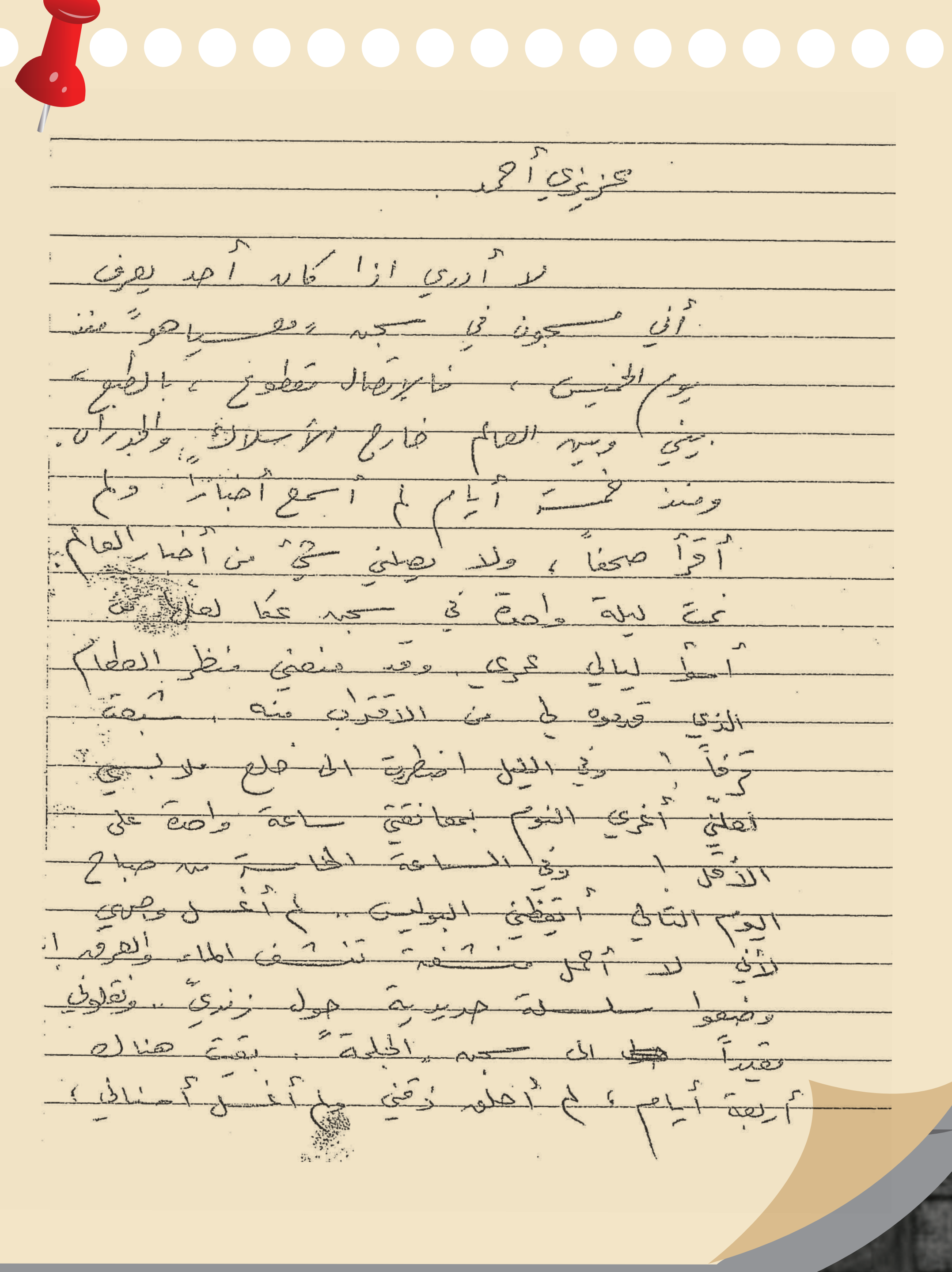
وكنا نعرف أن ما تبقى في عباءته من عمر لا يكفي لأن نلتقي، في المكان الذي لا يرحل عنه، ولا أستطيع العودة إليه..

لذا، لم تجمعنا غير أسلاك الهواء المتقطع، ليصير الصوت مقعدين، أجلس على أحدهما لأعرف أن لي بداية، ويجلس على الآخر ليحمي نفسه من عزلة النهاية...».

والسؤال الذي يلح علينا في السياق التاريخي الحاضر والماضي الذي عاش فيه محمود درويش قبل الرحيل وبعده، هو أيّ مصير محتمل كان الشاعر سيواجهه لو عاد إلى حيفا وبقي هناك يواصل حياة كرّ وفرّ مع المحتل؟

ألا يحق لنا أن نتصوره ينتهي في سجن من سجون العدو التي انتهى إليها زكريا الزبيدي ورفاقه الستة، أو في سجن آخر كالذي انتهى إليه مروان البرغوثي، أو في سجن ثالث انتهى إليه الآلاف من أبناء وطنه. أليس من المجدي أن يعيش حياةَ منفًى وفرت له فرصة التعبير عن المحنة التي ألمت بالشعب الفلسطيني، وساعدته على لمّ شتات السجناء والشهداء والمعذبين والصامدين، من خلال شعر ملحمي رأى فيه إدوارد سعيد ملحمة منظورها تحرر الشعب الفلسطيني. ولو شئنا استكمال التساؤل الفرضي وتخيلنا لقاءً بين أبي الشاعر وصديقه الفنان محمد الصكار ليسمع الأب الرأي في أمر رحيل الابن، لربما بارك سليم درويش قرار الرحيل ولو على مضض، أو لربما عدل عن نهي ابنه عن الرحيل ودعاه إلى السفر.

صورة الصفحة الأولى من رسالة محمود درويش، بخط يده



عزيزي أحمد

لا أدري إذا كان أحد يعرف
أني مسجون في سجن [illegible] منذ
يوم الخميس، فالاتصال مقطوع، بالطبع،
بيني وبين العالم خارج الأسلاك والجدران.
ومنذ خمسة أيام لم أسمع أخباراً ولم
أقرأ صحفاً، ولا يصلني شيء من أخبار العالم.
قضيت ليلة واحدة في سجن عكا لعلها من
أسوأ ليالي عمري، وقد منعني منظر الطعام
الذي قدموه لي من الاقتراب منه، فبقيت
جائعاً. وفي الليل اضطررت إلى خلع ملابسي
لعلني أغري النوم بمعانقتي ساعة واحدة على
الأقل. وفي الساعة الخامسة من صباح
اليوم التالي أيقظني البوليس.. لم أغسل وجهي
لأني لا أحمل منشفة تنشف الماء والعرق.
وضعوا سلسلة حديدية حول زندي.. وقادوني
فوراً إلى سجن الجلمة. بقيت هناك
أربعة أيام، لم أحلق ذقني، لم أغسل أسناني،

نَفْثَةٌ من سِحْر العربية

عمر الرواجفة *

جَـلّ الـثّـنـاءُ بِسِـحْـرِها وتَـرفّـعا
وتَـزيّـنـتْ فيها الحـــروفُ تَرَصُّعـا

بُعِثَتْ على شَفَة الـزّمـانِ حِكايةً
والـكــونُ أَطــرَقَ لـلـزّمـانِ لِيَسْمعا

حتـى إذا وَقَـــع الـبـيـانُ بِمَسْـمَعٍ
خَـفَـقَ الـفُـــؤادُ بِحُبّهــا وتصدّعـا

يَسعى إلـى سُبُلِ الفصاحة حَرفُها
ويَـصُـدّ عــن غَـيرِ البيــان تَرَفُّعـا

سَكَبَتْ مَـذاقَ الحُسن في أعطافها
وأبــى الـنَّـهيمُ لسِحْرها أن يَشْبَعَا

وَهَـبَـتْ إلــى بَـوْحِ الـيَراعِ فُنونَهـا
فـازداد في الـوَصْـف الـبَديع تَوَسُّعا

تَسـمـو بـآيـات الإلــه ولــمْ تَــزَلْ
تَـعلـو علــى عَـرْشِ اللّـغات تَرَبُّعـا

اللّهُ شَـــرّفهــا بـحِـفْــظ كـتــابِـهِ
نُطْقًا وفَـهْمًا كـيْ يُـنير ويَسْطَعا

إيـجــازُ قَــوْلٍ فــي رَصـانـةِ نَظْمِها
وتُصيــبُ مَعْنًـى دونَ أنْ تَتَمَنَّعا

هـيَ حِصْـنُ مَـن رامَ العلا وسَبيلُهُ
وهِــيَ الـسّـعــادةُ مـا أراد تَمَتُّعـا

هــيَ رَمْـــزُ عِـزّتنـا ورمــزُ تكـاتُفٍ
مــا إنْ تَمسّكْنا بها لـن نَخْضعا

سَطَعَتْ على أرضِ الـبَداوةِ شمسُها
والـنُّـــورُ شَــرّفَ أهلَها والمَوْضِعـا

خَشَعَتْ دُهـاةُ الشِّعر في محرابها
وتَـكـــادُ فيـه أنْ تَـخِـــرَّ وتَـرْكعـا

تــاجٌ عـلـى باقي اللّـغاتِ بِحُسْنها
تـلـكَ الحـقـيـقـةُ لــن تُفَـلَّ وتُقْطعا

بَـحْـرٌ حـوى أســـرارَ كُـلّ بَديعةٍ
سبحانَ مَـن وَضَـعَ الجَمالَ وأَودَعـا

---

* معلّم اللغة العربية/ وزارة التربية والتعليم الأردنية.

أطلالٌ مسكونة

حسين عدوان *

"عفَتِ الدّيارُ" وعَهْدُهُنّ جديدُ ... يُبْدِئنَ قلْبَكَ والزّمانُ يُعيدُ

بـ"أبي نُصَيْرٍ" فـ"الشّفا" فـ"جُبيهةٍ" ... حتّى "الرّشيدِ"، فهَلْ هَواكَ رشيدُ؟

تَقْفو خُطاكَ خُطى هَواكَ، كِلاكُما ... يَدري بأنَّ الدَّرْبَ مِنْكَ بَعيدُ

وبأنَّ مَن نَهَلَ الوِصالَ أعَلَّهُ ... هَجْرٌ! فغابَ ونادمَتْهُ البِيدُ

فتَرنَّحَتْ كأسٌ وماجَت غَيمَةٌ ... في راحتيكَ ترُدُّها فتعودُ

تسْقيكَ ما تسقيكَ صِرْفَ توهُّمٍ ... والوَهْمُ يَسْقي ذا الهوى ويَزيدُ

يا هذِهِ، ما أمَّ هذا قِبلَةً ... إلّا وأنتِ على الإمامِ شَهيدُ

كلّا ولا قطَفَتْ يَداهُ حُروفَهُ ... إلّا وأنْتِ غُصَيْنُهُ الأُملودُ

وإذا يسيرُ يكونُ وجهُكِ ضوءَهُ ... ويكونُ ظِلُّكِ في المسيرِ قصيدُ

وإذا تَمَزَّقَ في الصَّباحِ نَشيدُهُ ... فلَهُ عليكِ لدى المَساءِ نَشيدُ

ولَهُ عَلَيْكِ إذا تَناعَسَ وانْحَنى ... طَيْفٌ على سَقْفِ الجُفونِ قَعيدُ

مَعَهُ مِن الذّكرى الحَسيرَةِ عازفٌ ... أوتارُهُ سَقِمَتْ وَصَحّ العودُ

يُدلي عليه الدَّهْرَ وهْوَ مُهادِنٌ ... والعَيْشَ وَهْوَ مُنَعَّمٌ وسَعيدُ

إذ لا تُرَجِّلُ ليلَهُ آمالُهُ ... وإذِ القديمُ مِنَ اللّقاءِ جديدُ

ماذا دهى الأيّامَ يابنةَ حيِّنا؟! ... قَطَعَتْ علينا الحَبْلَ وَهْوَ مديدُ

ورَمَت بقلبي الغَضِّ في أُخدودِها ... حتّى لَرَقّ لِقَلْبِيَ الأخدودُ!

فإذا احْتَرَقْتُ فإنَّ وَصْلَكِ مُخرِجي ... واللّهُ قبلَكِ مُبدئٌ ومُعيدُ

* محرر لغوي وكاتب محتوى.

نغادر صمْتَ الليالي

إبراهيم السعافين *

نُغادر صَمتَ الليالي

ونَكتب ما قالت الشمسُ للمُستريحينَ

في عَتْمة الأُحجياتِ:

انْفُضوا الوهْمَ. لا شيءَ يَحْجُب نورَ

اليقينِ

فكلُّ الطغاةِ مَضَوْا في الظّلامِ

وظلَّ على بابةِ الفجْرِ سَجْعُ

الحَمامْ

❖❖❖❖❖❖

* أستاذ النقد والأدب الحديث؛ عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

مَضيْنا كما رَفّةِ الضَّوْءِ في حُلْكَةِ

العَجْزِ،

نَنثرُ شَوْقَ المريدينَ للفجرِ،

يا لَلطّغاةِ وأوْثانِهمْ! كمْ يُصَلّونَ للوَهْمِ،

كلُّ الثّنايا تقولُ لهمْ:

لا مُقامَ لكم، فاستريحوا على بَرْزخِ

الوهمِ،

لا شيءَ يُمْسِك أحلامنا،

وقَمْحُ البلادِ عليكمْ حَرامْ

يَطْلُعون إلى حُلْمهمْ، فَجأةً،

في ربيع الحكاياتِ أَحلاسَ خَيْلٍ

على صخرة المُنْتهى

كامتِشاقِ الحُسامِ، ببطْنِ الثنايا،

يُغنّونَ للأرضِ، والأُفْقُ مَرْجُ

غَمامْ

❖❖❖❖❖❖❖

لا سلامَ لكمْ في الرّبوعِ

حَنِثْتُمْ،

كما قال راوي الحكاياتِ،

ليس سلامٌ لكمْ في ديارِ

المريدينَ، يا هؤلاءِ!

كَفَرتمْ بروحِ السّلامِ،

وبعضُ الأساطيرِ تَكذِبُ،

إنّ الأساطيرَ تَكْذبُ، إنّكمُ

تَكذبونَ،

فليس لكمْ في الدّيارِ مُقامْ!!

من الأدب السّاخر:

فَوائدُ التّدخين

بقلم: دَخْنون أبو التِّتن

محمد عصفور *

نسمع الكثير في هذه الأيام عن مضارّ التدخين، إذ يدّعي المُدّعون أن التدخين يؤدي إلى الإصابة بأمراض السرطان وأمراض الرئة، وإلى صرف مبالغ طائلة على العلاج، وإلى إفساد رائحة الفم واصفرار الأسنان، وإلى إزعاج الناس في وسائط النقل، وغير ذلك من الترّهات. ولا أدري سبب هذا الإصرار على أن التدخين يقصِّر العمر. فقد دَخّن جدّي منذ أن كان صبيًّا في الثانية عشرة، وكنّا نعرف أنه موجود في البيت إذا شممنا رائحة الهيشة الزكية.

وكان جدي -رحمه الله- يتفنّن في إخراج الدخّان من أنفه أحيانًا، وكان يدّعي أنه قادر على إخراجه من أذنيّه لو أراد. أما عندما كانت نوبات السُّعال تهاجمه فإنه كان يقول: "إنّ الدخّان يساعدني على إخراج البلغم، وهو لذلك مفيدٌ للصحّة". رغم أن جدّتي -رحمها الله- كانت تقول إنه عندما كانت نوبة السُّعال تنتابه في الليل فإنه كان يفقد أعصابه ويأخذ بالسباب وصبِّ اللعنات على الشيطان الرجيم، فتقول له: "إنّ الشيطان لم يطلب منكَ أن تتحوَّل إلى مدخنة، وأنا واثقة من أن الشيطان لا يتقن لفَّ سكاير الهيشة".

لكنّ فلنترك جدّي وشأنه. جارُنا أبو راشد يكره التدخين، ويحاول أن يثبت أن التدخين يجافي

* أستاذ الأدب الإنكليزي؛ عضو مجمع اللغة العربية الأردني.



العقل بسؤال بسيط يقول فيه: "هل رأيتَ في حياتك حمارًا يدخِّن؟" وأجيبه عنه عندما يسألني إيّاه بقولي: "إنّ الحمار لا يدخّن لأنه حمار، ولا يعرف فوائد التدخين". وقد نشأ بيننا نقاش يوم أمس تحدّاني فيه أن أذكُر له فائدةً واحدة لهذه الظاهرة التي طرأت على العالم بعد أن غزا الأوروبيون قارّة أمريكا وعادوا بها إلى بلادهم ثمّ نشروها في بقيّة أنحاء العالم مثلما أخذوا بعض أمراضهم إلى القارّة الجديدة، حسب ادّعائه. فما كان مني إلّا أن بيّنتُ له تسعَ فوائدَ هي:

أوّلاً: إن التدخين علامةُ الرجولة. فالمدخِّنون يبدأون عادةً بمحاولة إثبات بلوغهم مرحلةَ الرجولة بالتدخين سرًّا في البداية خوفًا من معاقبة أهليهم لهم. ولكنهم سرعان ما يُثْبِتون استقلالهم عن الأب بالتدخين علنًا. ولا يخفى ما لتحدّي السلطة البطركية من فوائد نفسية واجتماعية لأنها علامةُ التحرّر. ومن الملاحظ أن الأنوثة لا يجري إثباتها بالتدخين. والإناث اللواتي يدخِّنَّ لا يتَّخذْنَ من التدخين عادةً إلّا بعد أن يكبرنَ ويأخذن بالتشبّه بالرجال.

ثانيًا: إن التدخين يُحرّك الاقتصاد القومي. فالحكومات تجد أن فرض الضرائب على علب الدخّان مقبول ولا يثير من الاحتجاج ما يثيره على الملابس والمحروقات والأدوية والأطعمة.

ثالثًا: إن التدخين يحرّك الاقتصاد العالمي. فشركات الدخّان العالمية توظِّف آلاف العمّال الذين يُعيلون آلاف الأسر. كذلك فإن المزارعين الذين يزرعون التبغ يعتمدون على هذه المادّة الرائجة. ولولا ذلك ما وجدوا ما يرتزقون منه.

رابعًا: لو صدّقنا أن ثمة علاقة سببيّة بين التدخين وبعض الأمراض فإن النتيجة هي أن كثيرًا من القطاعات تستفيد من هذه العادة، ومنها:

عيادات الأطبّاء، والمستشفيات، والصناعات الدوائية، وقطاع النقل، وقطاع تحصيل الضرائب، وقطاع الإعلانات.

خامسًا: لو صدّقنا أن هنالك علاقة سببيّة بين التدخين وارتفاع نسبة الوَفَيَات بين المدخِّنين فإن النظرة الموضوعية لهذه النتيجة هي أن الفائدة أعظم من الضرر. فالعالم يعاني -كما يعلم الجميع- من الانفجار السكاني ومن قلة الموارد المتبقية لإطعام الأعداد المتنامية من السكان. ولذا فإن التدخين يساعد على التخفيف من الأزمة السكانية. كذلك لا يخفى ما لتقصير العمر من فوائد لأنه يعفينا من مشاهدة الفظائع التي تنتظر الأجيال القادمة.

سادسًا: إن للتدخين فوائدَ اجتماعية جمّة. فعندما تحصل الوَفَيَات والأعراس فإن أكثر ما يُعرض على المعزّين والمحتفلين القهوة السادة والسكائر التي يحصلون عليها مجّانًا. ومن المعروف أيضًا أن تدخين أنواعٍ معيّنة من السكائر والغلايين والسيجار له دلالاتٍ اجتماعية خاصة لا يستغني عنها أولو المكانة الاجتماعية المرموقة.

سابعًا: إن التدخين يفيد الصناعات الأمريكية أكثر من غيرها لأنها هي المصدِّر الأكبر لعلب الدخّان في العالم. وهذا سيمكّنها من السيطرة على العالم وتحويله إلى جنّة أمريكية. ولا يخفى



ما لذلك من فوائد جمّة لأن العالم سيصبح سعيدًا مثل سكان مانهاتن ولوس أنجلس وسينعم بالديمقراطية والهامبرغر والمارلبورو.

ثامنًا: إن التدخين يُستعمل لتحسين طعم بعض أنواع اللحوم، فمن المعروف أن السمك المدخَّن أطيبُ من السمك المقلي أو المشوي، وأن التدخين يطيل عمر هذه الأنواع من الأغذية لأن الجراثيم لا تقترب منها إلا بعد انتهاء مفعول الدخّان.

تاسعًا: إن الشياطين لا تقترب من البيوت التي يملؤها الهواء المعقَّم بالدخّان خوفًا من الاختناق.

فما كان منه إلا أن غادرني قائلاً: "ليس للحماقة من علاج". لا شكَّ في أنني أفحمتُه!

ملحوظة: وَجد الدكتور محمد عصفور هذه القطعةَ بين أوراق المرحوم دخنون، وحصل على إذنٍ بنشرها من ابنه غليون وابنته هيشة.

بطاقة الى الأقصى

سليمان العيسى

سلامٌ على الأقصى .. يخضّبه دمُ

وطفلٌ قتيلٌ في الدمارِ يبرعمُ

سلامٌ على الأقصى .. ونحن حجارةٌ

تصبُّ عليها النارَ رعباً جهنّمُ

سلامٌ على الأقصى وكلُّ رصاصةٍ

ستوقظُ جيلاً .. بالشهادة يحلُمُ

سلامٌ على الأقصى .. وتخبو انتفاضةٌ

لتُشعِلَ ألفاً .. هذه الأرضُ أكرمُ

سلامٌ على الأقصى ..

وليس بحاجةٍ

الى شاعرٍ .. حين الدّما تتكلّمُ

سلامٌ على الأقصى .. طويلٌ لقاؤنا

الى أن يرى نور الحقيقةِ مجرمُ

٣/١١/٢٠٠٠





ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس): ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٣٨٩٧

البريد الإلكترونيّ:

albayan@ju.edu.jo